IUGJEPS
Vol 27, No 4, 2019, pp 171 -207

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2019-05-13)، تاريخ قبول النشر (2019-06-19)

اسم الباحث: د. يسرى أحمد اليبرودي 1 *

1 اسم الجامعة والبلد: قسم أصول الدين- كلية الشريعة - الجامعة الأردنية-الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: y.yabroudi@ju.edu.jo

دلالات الموت ومعانيه في الزهراوين (البقرة وآل عمران)

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى استقراء دلالات الموت ومعانيه في الزهراوين (البقرة وآل عمران)، إذ ارتكز البحث على مواطن ذكر الموت ودلالاته ومعانيه في آيات محددة من سورتي البقرة وآل عمران (الزهراوان)، وبيان مفهوم الموت لغةً واصطلاحًا، ثم الكشف عن دلالات الموت وارتباطاته وفق سياق وروده في الآيات القرآنية المحددة من آيات الزهراوين.

واتبعت الباحثة فيه المنهج الاستقرائي من خلال استقراء مواضع ورود ذكر الموت في الزهراوين، وبيان تفسيراتها القرآنية في كتب التفسير، وأعقب ذلك المنهج التحليلي متمثلًا النظر في تحليل المفسرين وتأويلاتهم لمفاهيم الموت ومعانيه ودلالاته وارتباطاته وفق سياقه القرآني، وسعت الباحثة لتوضيح أثر الموت في الحياة البشرية.

وخلصت الدراسة إلى أن الحكمة الربانية اقتضت أن يكون الموت في الحياة الدنيا عبرة للبشرية لمراجعة أنفسهم ومحاسبتها قبل لقاء الله سبحانه وتعالى لذلك تكرر ذكر الموت كثيرة في القرآن الكريم مرتبطًا ذكره بعلاقات دلالية بلاغية وارتباطات معنوية، ومن الدلالات البلاغية التشبيه، والتوكيد، والمجاز المرسل، أما الدلالات المعنوية للموت فتنوعت بحسب سياقها الوارد في الزهراوين من خلال كتب المفسرين.

كلمات مفتاحية: الموت، الزهراوان، دلالات، المعاني، الارتباطات، الحياة البشرية

Death Connotations and Meanings in the two Illuminated Chapters (Az-Zahrawain) (Al-Baqara and Al Imran)

Abstract:

This study seeks to extrapolate connotations and meanings of the death in the az-zahrawain (Al-Baqara and Al Imran), based on places of their mentioning in specific verses of Surah Al-Baqara and Al Imran, illustrating the linguistic and terminological meaning of death, and revealing death connotation and correlations.

The inductive approach was used through extrapolating places where death was mentioned in az-zahrawain, clarifying their qur'anic explanations in interpretation (Tafseer) books, followed by the analytical approach through recognizing interpreters' analysis and interpretations for death concepts, meanings, connotations and correlations. The researcher sought to make clear the impact of the death in the human life.

The study concluded that Allah's wisdom has preordained death to be a lesson for all humans to reflect on before meeting him. Therefore, death is frequently mentioned in the holy quran and is linked to semantic and rhetoric relations and moral correlations. Of the rhetoric connotations are the simile, corroboration and metonymy. The moral connotations of death varied according to their context mentioned in az-zahrawain through interpretors' books.

Keywords: the two illuminated chapters (az-zahrawain), death, connotations, meanings, correlations, human life.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الهدى المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد:

لله الحمد من قبل ومن بعد الذي أوجد الإنسان من العدم، وكساه باللحم بعد العظم، وسبحان الذي قدر الأعمار والأرزاق فكل شيء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة العزيز الجبار، بيده ميزان الحياة، يعلم دقائقها وأجزائها، لا تغيب عنه ذرة منها، ولا يعجزه أمرها، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: 2).

الموت نهاية كل مخلوق، وكل موجود، باستثناء الله الرب المعبود، والموت ختام الحياة طالت أم قصرت، وقضاء نافذ، وحكم شامل لا بد من تنفيذه، قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: 185)، وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: 35).

لقد حدد الله سبحانه وتعالى وجود المخلوقات في الكون بين الحياة والموت، فجعل لكل بداية نهاية، وما بين البداية والنهاية ترصد الأعمال، والأقوال، ولعل الاهتمام الرباني بقضية الموت في محكم التنزيل دفع الباحثين والدارسين إلى رصد ذكره في القرآن الكريم، إذ تكرر ذكر الموت ومشتقاته مائة وخمسة وستين مرةً، وذلك بالتساوي مع ذكر الحياة ومشتقاتها، وفي ذلك إشارة ربانية إلى التوازن الطبيعي بين الحياة والموت في الكون، كما دلَّ تكرار الموت في آيات القرآن الكريم على تنبيه الغافلين على ضرورة اغتنام فرصة الحياة في طاعة الله والبعد عن مخالفة أوامره ونواهيه، واجتناب معصيته، والإلتزام بعبادته وتوحيده؛ فالموت أمر محتم لا بد لكل مخلوق من أن يطاله في مختلف الأزمنة والأمكنة والأحوال.

إن تكرار لفظة الموت مفردةً تحديدًا في سورتي البقرة وآل عمران أمر لافت للنظر، إذ تكررت لفظة الموت مفردةً في مواضع مختلفة من السورتين قرابة عشر مرات، بينما تكررت مشتقاتها في مواضع كثيرة متعددة، سواء أكانت بصيغ الجموع، أم بصيغ الأفعال، أما بالنسبة للفظة الموت؛ ففي كل مرة كان يُذكر فيها الموت كانت تمثل معنى جديدًا، وارتباطًا دلاليةً مغايرًا لما سبقه وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على الإعجاز الدلالي لمعاني وألفاظ آيات القرآن الكريم، كما دلَّ كذلك على أهمية ذكر الموت، وبيان حتميته وحكمه الذي قدره الله سبحانه وتعالى على مخلوقاته، كذلك جاء اهتمام الدراسة بقضية الموت لما لها من أثر في حياة الإنسان، فالموت يعكس حقيقة الطبيعة الإنسانية سواء أكانت الطبيعة الإنسانية المؤمنة، الموحدة لله، والراضية بقضاء الله وحكمه أم الطبيعة الإنسانية العاصية الكافرة، المنكرة لقضية الوحدانية والعياذ بالله.

وتتبع أهمية هذه الدراسة من خلال إيضاح معنى قدوم الموت مفردةً في سياقات محددة في سورتي البقرة وآل عمران، كما تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال الاهتمام الإنساني بحقائق الحياة والموت، وبيان أثر الموت وانعكاساته على الحياة البشرية، ولما لها من صلة بقضايا الإيمان بالله وتوحيده.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة فيما يأتي:

1- تعدد معنى الموت في المعاجم اللغوية.

2- تعدد نظرة الفقهاء لمفهوم الموت.

3- تحديد المقصود بالزهراوين وفضلهما.

4- تعدد دلالات تكرار ذكر الموت في القرآن الكريم وارتباطاته في سورتي البقرة وآل عمران.

أهداف الدراسة

إن أهمية الدراسة تكمن في الأمور الآتية:

1- توضيح معاني الموت ودلالاتها من خلال الآيات الكريمة.

2- بيان أهمية ذكر الموت في كتاب الله سبحانه وتعالى من خلال تفاسير القرآن الكريم.

3- بيان أهمية أثر الموت على الحياة الإنسانية.

الدراسات السابقة

لا شك أن الدراسات والكتب التي تناولت موضوع الموت كثيرة ومتعددة، ولكن بحسب اطلاعي لا توجد دراسة مخصصة في موضوع دلالات الموت ومعانيه في الزهراوين، وما للموت من أثر على حياة المجتمعات الإنسانية منذ أن خلق الله الخلق وحتى هذه الساعة كما أوضحتها سورتا البقرة وآل عمران، علمًا أن بعض المؤلفات والكتب إشارات إلى مفهوم الموت وحقيقته لكن هذه الإشارات خلت من عمقها الدلالي لمعاني الموت، ومدى ارتباط هذه المعاني بأقوال المفسرين، وأسباب ذكرها، فلم تكن هذه الدراسات كافية في إيضاح هذا الموضوع، وبيان أهميته، إذ لم تعن به عنايةً دلاليةً كما هو الحال في هذه الدراسة التي حصرت آيات الموت الواردة في سورتي البقرة وآل عمران، وبينت معانيها ومضامينها وعلاقاتها الدلالية، وكشفت تفسيرها لدى مختلف المفسرين.

منهج البحث:

لقد اعتمدت الدراسة على المنهجين الآتيين:

- المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء الآيات القرآنية الكريمة الواردة فيها لفظة الموت، وبيان معانيها الدلالية في سياقها الذي وردت به.
- المنهج التحليلي: وذلك من خلال دراسة مفهوم الموت الوارد في الآيات القرآنية في سورتي البقرة وآل عمران، وتحليلها تحليلًا علميًا موضوعيًا، وبيان أثر الموت ودوره في الحياة الإنسانية.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى أربعة مباحث جاءت كما يأتي:

- **المبحث الأول: مفهوم الموت.**
- المطلب الأول: الموت لغةً.
- المطلب الثاني: الموت اصطلاحًا.
- المطلب الثالث: أنواع الموت.
- **المبحث الثاني: مفهوم الزهراوين وأهميتها في الأحاديث النبوية الشريفة.**
- المطلب الأول: معنى الزهراوين.
- المطلب الثاني: أهمية الزهراوين وفضلهما.

- **المبحث الثالث: العلاقات الدلالية والارتباطات المعنوية للموت في سورتي البقرة وآل عمران حسب سياقها التفسيري.**
- المطلب الأول: العلاقات الدلالية البلاغية للموت.
- أولًا: دلالات التمثيل أو التشبيه.
- ثانيًا: دلالات ظاهرة التوكيد.
- ثالثًا: دلالات المجاز المرسل.
- المطلب الثاني: العلاقات والارتباطات المعنوية للموت.
- أولًا: علاقة الموت بالنفاق.
- ثانيًا: علاقة الموت بالصدق
- ثالثًا: علاقة الموت بالشهادة.
- رابعًا: علاقة الموت بالوصية.
- خامسًا: علاقة الموت باليقين.
- سادسًا: علاقة الموت بالأجر.
- **المبحث الرابع: أثر الموت وحكمته في الحياة البشرية.**
- المطلب الأول: الجوانب النفسية.
- أولًا: جانب الاعتقاد الديني.
- ثانيًا: جانب الاعتقاد النفسي.
- المطلب الثاني: الحكمة من مشروعية الموت في الحياة البشرية.

الخاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم الموت.

تراوح مفهوم الموت بين معناه المعجمي ومعناه الاصطلاحي، إذ استطاع أصحاب المعاجم توضيح معنى الموت وتتبع سياقه اللفظي ودلالاته المعجمية، بينما تراوحت نظرة الباحثين والدارسين لمفهوم الموت اصطلاحًا بين معان مختلفة، منها ما جاء في سياقها الفقهي، ومنها ما ورد في سياقها الفلسفي، وبعضها ورد في سياقها الطبي، وستقف الدراسة على هذه المعاني والمفاهيم واحدا تلو الآخر.

المطلب الأول: الموت لغة.

اتفقت المعاجم العربية على القول إن الموت معناه ضد الحياة، وهو يقع في إطار التلاشي والفناء، والموت مأخوذ من مادة "م، و، ت، ومعناها ضد الحياة، ومات يموت ويمات أيضا، فهو ميت، والموات أيضا الأرض التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد"[(1)]. وفي المصباح المنير "مات الإنسان يموت موتًا، وما يمات من باب خاف.. ويعدى بالهمزة فيقال أماته الله والموتة أخص من الموت، ويقال في الفرق مات الإنسان، ونفقت الدابة، وتنبل البعير، ومات يصلح في كل ذي روح"[(2)]. والموت "خَلْقٌ من خَلق الله تعالى، والموت والمُوتّان ضد الحياة، ورجل مَيّت، ومَيْت، وقيل الميت الذي مات، والمِيّتُ والمائِتُ: الذي لم يمت بعد، والمَيّت والمِيْت المعنى واحد يستوي فيه المذكر والمؤنث، والموت في كلام العرب يطلق على السكون، يقال ماتت الريح أي سكنت، والموات بالفتح ما لا روح فيه، والموات أيضا الأرض التي لا مالك لها من الآدميين، ولا ينتفع بها أحد، ورجل موتان الفؤاد: غير ذكي ولا فهم، والمُوتة بالضم جنس من الجنون والصرع يعتري الإنسان، فإذا أفاق عاد له عقله كالنائم والسكران، ومات الرجل أي خضع للحق، واستمات الرجل أي طاب نفسا بالموت"[(3)]. والميّت "بفتح الميم وكسر الياء المشددة وجمعه ميتون، وأموات، وموتى، من فارقت الروح جسده من بني آدم"[(4)]. ومن أسماء الموت الواردة في المعاجم اللغوية: المنون، والمنا، والمنيَّة، والسَّام، والحِمام، والرَّدى، والهلاك[(5)].

المطلب الثاني: الموت اصطلاحا.

يجمع الفقهاء والعلماء على أن الموت هو "مفارقة الروح للبدن"[(6)]. وجاء في السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة ندرك من خلالها أن الموت هو خروج الروح من الجسد، ومن ذلك قول أم سلمة: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"[(7)]. وقد أشار ابن تيمية إلى أنه " قد استفاضت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الأرواح تُقْبض وتُنعَّم وتُعذَّب، ويقال لها: اخرجي أيتها الروح الطيبة"[(8)]. فمن خلال الأحاديث النبوية الشريفة استجلى الفقهاء مفهوم الموت متفقين على أن الموت هو خروج الروح من البدن" وهذه هي

---

(1) الرازي، مختار الصحاح (ص266).
(2) الفيومي، المصباح المنير في غريب شرح الكبير (ص223).
(3) ابن منظور، لسان العرب (ج2/ 90-93).
(4) قلعجي وقنيبي، معجم لغة الفقهاء (ص470).
(5) الثعالبي، فقه اللغة (ص133- 134).
(6) أنظر: النووي، المجموع شرح المهذب (ج5/105- 108) ابن القيم، كتاب الروح (ص100-1005). العسقلاني، فتح الباري (ج10/ 128).
(7) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب إغماض العينين(ج1/ 408) حديث رقم (920) و(921).
(8) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج4/223).

حقيقة الوفاة عند الفقهاء وتكاد كلمتهم تتوارد على هذا، ولم يتم الوقوف على خلاف في كلامهم من أن حقيقة الوفاة هي: مفارقة الروح للبدن، بل هو حقيقة شرعية، لا يُعلم فيها خلاف، وأن حقيقة المفارقة هي خلوص الأعضاء كلها عن الروح، بحيث لا يبقى جهاز من أجهزة البدن فيه صفة حياتية"[(1)]. فالموت هو "عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيًا، وهو نهاية الحياة والتقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملكة[(2)]. والموت أيضا "انقطاع كلي وهو تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب، الأول: إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه فهو اليقظة، وإن انقطع ضوئها ظاهره دون باطنه فهو النوم أو بالكلية هو الموت"[(3)]. فالموت هو خروج الروح من الجسد، وتعطل كامل للأعضاء الجسدية، ويتبع الموت إمارات محددة منها اتباع البصر للروح.

المطلب الثالث: أنواع الموت.

يرى الفقهاء والعلماء أن للموت أنوعًا، تم تحديدها من خلال السياق القرآني، وهذه الأنواع هي:- "**الأول:** ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوان والنبات نحو قوله تعالى {وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا} (ق: 11). وقوله أيضا {اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها} (الحديد: 17) وهذا النوع تشترك فيه كل المخلوقات. **الثاني:** زوال القوة الحساسة؛ ومنه قوله تعالى {قالت يا ليتني مت قبل هذا} (مريم: 32) وقوله سبحانه وتعالى {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لسوف أخرج حيا} (مريم: 66). **الثالث:** زوال القوة العاقلة وهي الجهالة نحو قوله تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} (الأنعام: 122) وقوله كذلك {إنك لا تسمع الموتى} (النمل: 80) **الرابع:** الحزن المكدر للحياة ومنه قوله تعالى {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} (إبراهيم: 17). **الخامس:** المنام فقد قيل: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل وعليه سماه الله وفاةً، ومن ذلك قوله تعالى {هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (الأنعام: 60)"[(4)]. وتجد الإشارة إلى أن النوع الرابع ليس في الحياة الدنيا بل يصف حال الكافر في جهنم وهو خلود بلا موت.

المبحث الثاني: مفهوم الزهروان وأهميتهما.

إن مما لا شك فيه أن جميع سور القرآن الكريم وآياته لها فضائل مختلفة، ولعل من أبرز هذه السور البقرة وآل عمران اللتان تسميان (الزهراوان)، فقد حظيت البقرة وآل عمران بمكانة معينة بين سور القرآن الكريم، وهذا ما سنلاحظه من خلال هذا المبحث.

المطلب الأول: معنى الزهراوان.

ورد في المعاجم العربية أن الزهراوان مثنى الزهراء وهي "المُنيرة المضيئة، وَالزَّهْرَوَانُ: المُنِيرَتَانِ، وَأَصْلُ الزَّهْرِ: الحُسْنُ وَالضِّيَاءُ والصَّفَاءُ، ومن ذلك الزُّهرة، النجم، ومنه الزّهر، وهو نور كل نبات"[(5)]، والأزهر "الأبيض المستنير، والزَّهر والزهرة،

(1) أبو زيد، فقه النوازل (ج1/222- 225).

(2) صليبا، المعجم الفلسفي (ج2/ 440).

(3) وهبة، المعجم الفلسفي (ص630).

(4) أنظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم (ص781-782). المناوي، التوقيف على مهمات التعريف (ص318).

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج3/ 31).

البياض النير وهو أحسن الألوان، والزهراوان البقرة وآل عمران أي المنيرتان، وواحدتهما زهراء، وزهرةُ الدنيا حُسنها، والأزهر أيضا: القمر لنوره وضيائه"[1].

أما المعنى الدلالي المقصود من لفظة الزهراوين في هذه الدراسة فهما البقرة وآل عمران، وجاء في تفاسير القرآن الكريم أن البقرة وآل عمران سميتا الزهراواين "لزيادة نورهما وهدايتهما، وعظيم أجرهما، وقيل لأنهما تضمنتا اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وأذا سئل به أعطى، وهو الحي القيوم.. وقد اشتملت الزهراوان على أخبار ومواعظ وأحكام جليلة، فأما سورة البقرة فهي من أوائل السور التي نزلت في المدينة، وتضمنت أعظم آية في كتاب الله وهي آية الكرسي، وتضمنت خاتمتها آيتين عظيمتين، وأما سورة آل عمران فتكلم الله عن بيوت صالحة، وهي بيوت آل عمران، وعن غزوة عظيمة كغزوة أحد"[2].

المطلب الثاني: أهمية الزهراوين وفضلهما.

تنبع أهمية الزهراوين وفضلهما من خلال اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بهما، إذ يتبين للمتلقي من خلال ما ورد من أحاديث نبوية شريفة مدى اهتمامه صلى الله عليه وسلم بسورتي البقرة وآل عمران، ففي فضل سورة البقرة قال المفسرون "هذه السورة فضلها عظيم، وثوابها جسيم، يقال لها فسطاط القرآن الكريم، وذلك لعظمها وبهائها وكثرة أحكامها ومواعظها قال ابن العربيّ: سمعت بعض أشياخي يقول فيها ألف أمرٍ، وألف نهيٍ، وألف حكم، وألف خبر"[3]. أما عن فضل سورة البقرة في الهدي النبوي الشريف فقد جاء في سنن الترمذي من حديث حسن ضعفه الألباني قال فيه: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثًا وهم ذوو عدد، وقدَّم عليهم أحدثهم سناً، لحفظه سورة البقرة، وقال له: اذهب فأنت أميرهم"[4]. وفي حديث آخر أشار أبو هريرة رضي الله عنه إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة"[5]. وفي حديث صححه الألباني عن عقبة بن عامر قال: قال صلى الله عليه وسلم "اقرأوا هاتين الآيتين اللتين في آخر سورة البقرة، فإن ربي أعطانيهما من تحت العرش"[6]. وعن الحذيفة بن اليمان قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فضلنا علَى الناسِ بثلاثٍ: جُعِلَتْ صفوفُنا كصفوفِ الملائكَةِ، وجُعِلَتْ لنا الأرْضُ كُلُّها مسجِدًا، وجُعِلَتْ تربَتُها لنا طَهورًا إذا لَمْ نَجِدِ الماءَ، وأُعْطيتُ هذِهِ الآياتِ من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبيٌّ قبلي"[7]. أما عن فضل الزهراوين معا، فقد روي عن أبي أمامة أنه قال: سمعت رسول الله يقول: اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، كأنهما فرقان من طير

---

[1] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر(ج2/ 321). ابن منظر، لسان العرب (ج4/ 332)

[2] السيوطي، تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور (ج1/ 48- 51).

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج234/1).

[4] الترمذي، سنن الترمذي، الجامع الكبير، أبواب فضائل القرآن (ج5/ 6) حديث رقم (2876). قال المنذري عن هذا الحديث "حديث إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما" المنذري، الترغيب والترهيب (ج2/ 300)

[5] مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافر وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (ج361/1- 363) أحاديث رقم (804- 810).

[6] الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادة (ج1/ 258) حديث رقم (1172). (حديث صحيح).

[7] الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادة (ج2/ 878) حديث رقم (4223). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (ج6/ 315) وقال روي بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح.

صوافّ تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة"[1]. كما أن فضل سورة آل عمران لا يبتعد كثيرا عن فضل سورة البقرة فكلاهما الزهراوان، ولعل من أهم فضائل سورة آل عمران ما ورد عن النواس بن سمعان قال: سمعت النبي عليه السلام يقول:"يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران"[2].

وأخيرا إضافةً إلى ما سبق فإن سورتي البقرة وآل عمران من السور القرآنية المكملة بعضهما بعضا، فسورة آل عمران استكملت ما جاءت على ذكره سورة البقرة، فبعد أن تحدثت سورة البقرة عن القسم الأول من أهل الكتاب وهم اليهود، تحدثت سورة آل عمران عن القسم الثاني من أهل الكتاب وهم النصارى، الذي جادلوا في أمر سيدنا المسيح وزعموا ألوهيته، وكذبوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنكروا القرآن، وقد تناول الحديث عنهم ما يقرب من نصف السورة[3]. كذلك سورتا البقرة وآل عمران اشتركتا في ذكر صفة الموت، وما يتضمنه ذكر الموت من معاني متقاربة في دلالاتها وتفسيراتها، وهذا ما ستقوم الدراسة ببحثه في المبحث الثاني.

المبحث الثالث: العلاقات الدلالية والارتباطات المعنوية للموت في سورتي البقرة وآل عمران حسب سياقها التفسيري.

يشكل السياق القرآني جملة من العلاقات الدلالية، والارتباطات المعنوية المؤدية إلى غاية توضيح المراد من الطرح القرآني فالآيات القرآنية نسيج من المتعالقات الدلالية ذات المغزى والهدف والغاية، والناظر في السياق القرآني الكريم يجد تناغمًا شديدًا بين الآيات على اختلاف مواضعها ودلالاتها وتفسيراتها وتأويلاتها، كما يجد تنوعًا في دلالات اللفظ الواحد، وتنوعًا في علاقاتها الإشارية التي يرمي إليها، وهذا إن دلّ فإنما يدل على إعجاز الله سبحانه وتعالى، ففي بحثنا عن الموت في سورتي البقرة وآل عمران وجدنا جملةً من العلاقات الدلالية والارتباطات المعنوية التي شكلت تفاعلًا نصيًا بين اللفظة والدلالة، ولعل من أبرز الدلالات التي أثارتها آيات الموت في سورتي البقرة وآل عمران ما يأتي:

المطلب الأول: العلاقات الدلالية البلاغية للموت.

تعد العلاقات الدلالية البلاغية من أهم العلاقات التي تسهم في إيضاح المعاني وبيانها "فاذا كان المستوى الدلالي يعني دراسة المعنى فقد عني الدرس البلاغي بدراسة المعاني من خلال اللفظ الدال وارتباطه بمدلوله أو من خلال مباحث بيانية أو بديعية، وتكمن أهمية الموضوع في أن هناك نوعين للدلالة هما الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية"[4]. وقال ابن فارس: "الدال واللام أصلان، أحدهما: إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دللتُ فلانا على الطريق، والدليل الأمارة على الشيء، وهو بيّن الدِّلالة والدَّلالة، والأصل الآخر قولهم: تدلدل الشيء إذا اضطرب"[5]. وقال ابن منظور"ودلّه على الشيء يدُلهُّ دلا، ودللتهُ فاندلّ: سدّده إليه، ودللتهُ فاندلّ، والدليل: ما "دلّه على الشيء يدُلهُّ دلا يستُدلُّ به،

[1] مسلم، صحيح مسلم (ج1/ 361) حديث رقم (804).
[2] مسلم، صحيح مسلم (ج1/ 362) حديث رقم (805).
[3] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن (ج2/ 181).
[4] شناوة، المستوى الدلالي في الفنون البلاغية (مج 6/ 105).
[5] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج2/ 259).

والدليل: الدّال. و قد دلهَّ على الطريق يدلهُّ دلالةً ودِلالةً ودلُولةً، والفتح أعلى"[1]. وتعرف الدلالة اصطلاحًا بأنها "أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والأول الدال والثاني المدلو"[2]. والدلالة كذلك " بفتح الدال على الأفصح مصدر دلّ يدلُّ دلالةً، وهي ما يلزم من فهم شيء فهم شيء آخر"[3]. ولعل من أبرز الدلالات البلاغية في آيات الموت في سورتي البقرة وآل عمران ما يأتي:

أولًا: دلالات التمثيل أو التشبيه.

التشبيه هو "الوصف بأحد الموصوفين ينوب مناب أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه وذلك قولك (زيد شديد كالأسد) هذا القول هو الصواب في العرف وداخل في محمود المبالغة، وإن لم يكن زيد في شدته كالأسد على حقيقة"[4]. والتشبيه كذلك هو "بيان أن شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه"[5] والتشبيه من منظور آخر هو "الدلالة على مشاركة أم لامر في معنى مشترك بينهما، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة، أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام"[6].

ويجب أن ندرك أن "حقيقة الدلالة في التشبيه تكشف عن غاية مزدوجة هي استعمال الالفاظ المفردة بدلالة حقيقية واستعمالها مؤلفة بدلالة أخرى في تشكيل الصورة التشبيهية، ففي قولنا: محمد كالأسد نكون أمام لفظين (محمد) علم على إنسان و (الأسد) اسم على حيوان معروف والدلالة هنا حقيقية، إلا أن المراد من هذا التركيب اللغوي معنى آخر هو وصف محمد بالشجاعة بقرينة لفظية هي كاف التشبيه وتأويل عقلي يمنع من إرادة الدلالة الحقيقية التطابقية، فالتشبيه بهذا الاعتبار نوع من أنواع انحراف الدلالة كما هو الشأن في المجاز"[7].

أما التشبيه في القرآن الكريم فإن المتتبع للآيات القرآنية الكريمة يجد وفرة بلاغية في توظيف القرآن الكريم للتشبيه، ولعل استعانة القرآن الكريم بالتمثيل أو التشبيه في مواضع مختلفة يؤكد على فرضية سعي القرآن الكريم إلى تقريب الصورة البلاغية إلى ذهن المتلقي لأسباب كثيرة قد تكون من باب الوعظ والإرشاد، وقد تكون من باب الهداية والحث على الإيمان أو غيرها من المآرب والغايات، وإذا ما نظرنا في قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 19) سنجد أن الله سبحانه وتعالى "شبه في هذه الآية أحوال المنافقين بما في الصَّيِّب من الظُّلمات والرَّعد والبرق والصواعق، فالظلمات مثلٌ لما يعتقدونه من الكفر، والرعد والبرق مثلٌ لما يخوفون به، وقيل مثَّلَ الله تعالى القرآن بالصّيب لمَا فيه من الإشكال عليهم، والعمى هو الظلمات، وما فيه من الوعيد والزجر هو

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج11/ 247).
(2) التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (ص1361).
(3) الفتوحي، شرح الكوكب المنير(ج1/ 125).
(4) العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر (ص239).
(5) عتيق، علم البيان في البلاغة العربية، (ص62).
(6) سلوم ونور الدين، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل(ص103).
(7) شناوة، المستوى الدلالي في الفنون البلاغية (ص106).

الرعد، وما فيه من النُّور والحجج الباهرة التي تكاد أحيانا أن تبهرهم هو البرقُ، والصواعق مثلٌ لما في القرآن من الدعاء إلى القتال في العاجل والوعيد في الآجل"[1]. ثم بعد أن ضرب الله هذا المثل جاء بلفظ الموت، والموت في هذا الموضع جاء بمعنى "مخافة الهلاك ثم جاء قوله والله محيط بالكافرين: أي عالم بهم وقيل جامعهم، وقال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم"[2].

ويذكر أبو حيان أن الله "شبه دين الإسلام بالصيب وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيبهم من الإفزاع والفتن من جهة المسلمين بالصواعق، وهذا التمثيل من التمثيلات المركبة دون المفرقة فلا تتكلف مقابلة شيء بشيء، وهذا تمثيل بليغ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ولذلك أخر فصار ارتقاء من الأهون إلى الأغلظ، وقد رام بعض المفسرين ترتيب أحوال المنافقين وموازنتها في المثل من الصيب والظلمات والرعد والبرق والصواعق، وقوله (حذر الموت) هنا كناية عن كونه تعالى لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط به فقيل بالعلم، وقيل بالقدرة وقيل بالهلاك"[3].

إن من بديع هذا التمثيل "أنه مع ما احتوى عليه من مجموع الهيئة المركبة المشبه بها حال المنافقين حين منازعة الجواذب لنفوسهم من جواذب الاهتداء وترقبها ما يفاض على نفوسهم من قبول دعوة النبي وإرشاده مع جواذب الإصرار على الكفر وذبهم عن أنفسهم أن يعلق لها ذلك الإرشاد حينما يخلون إلى شياطينهم.. والضمير في قوله بسمعهم وأبصارهم ظاهره أن يعود إلى أصحاب الصيب المشبه بحالهم حال المنافقين لأن الإخبار بإمكان إتلاف الأسماع والأبصار يناسب أهل الصيب المشبه بحالهم بمقتضى قوله (يكاد البرق يخطف أبصارهم) وقوله (يجعلون أصابعهم في آذانهم) والمقصود أن الرعد والبرق الواقعين في الهيئة المشبه بها هما رعد وبرق بلغا منتهى قوة جنسيهما بحيث لا يمنع قصيف الرعد من إتلاف أسماع سامعيه ولا يمنع وميض البرق من إتلاف أبصار ناظريه إلا مشيئة الله عدم وقوع ذلك لحكمة وفائدة ذكر هذا في الحالة المشبه بها أن يسري نظيره في الحالة المشبهة وهي حالة المنافقين فهم على وشك انعدام الانتفاع بأسماعهم وأبصارهم انعدامًا تامًا من كثرة عنادهم وإعراضهم عن الحق إلا أن الله لم يشأ ذلك استدراجا لهم واملاءً ليزدادوا إثمًا أو تلومًا وإعذارًا لهم لعلم منهم من يتوب إلى الهدى"[4].

فبعد الترهيب والتخويف بالصواعق والرعد والبرق أردف الله تصويرا لحال المنافقين الذي يضعون أصابعهم من هول الموقف في أذانهم خوفاً من الموت الناتج عن إرادة الله ومشيئته في أمر البرق والرعد، فالموت في هذه الآية نتيجة دلالية لتمثيل بلاغي ناتج عن إرادة الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: دلالات ظاهرة التوكيد.

التوكيد لغةً مأخوذ من "وكد العقد والعهد أوثقه، والهمزة فيه لغة يقال: أوكدته، وأكدته، إيكادًا، وبالواو أفصح أي شددته، وتوكد الأمر، وتأكد بمعنى، ويقال وكدت اليمين، والهمزة في العقد أجود"[5]. وأيضا التوكيد من "أكدته فتأكد، ويقال على البدل: وكدته ومعناه التقوية"[6]. أما اصطلاحًا فالتوكيد هو "أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك أفلا ترى أنه إنما

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/ 331- 332).
(2) البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، (ج1/ 70).
(3) أبو حيان، تفسير البحر المحيط (ج1/ 221-224).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ص320، ص 322-323).
(5) ابن منظور، لسان العرب (ج3/ 466).
(6) الفيومي، المصباح المنير(ص7).

كان (كلـــهم) في قولك: "جاءني القوم كلهم تأكيدًا من حيث كان الذي فهم منه وهو الشمول قد فهم بديئًا من ظاهر لفظ القوم. ولو أنه لم يكن فهم الشمول من لفظ القوم، ولا كان هو من موجبه لم يكن كل تأكيدًا، ولكان الشمول مستفادًا من كل ابتداء"[1]. والتوكيد "لفظ يقوي متبوعه ويزيل عنه كل غموض وهو نوعان؛ معنوي: وهو ما يتم بألفاظ مشهودة، مثل (جاء القائد نفسه) كذلك في قوله تعالى "فَسَجَدَ الملاَئِكَةُ كُلُّهُم أجمَعُون} (الحجر: 30) وهذا توكيد معنوي تبع مؤكده في الإعراب. ولفظي : وهذا التوكيد يتم بإعادة لفظ المؤكد سواء أكان اسمًا أو جملةً أو فعلًا أو حرفًا، نحو (جاهدوا من أجل الاستقلال الاستقلال) أو (زهق الباطل زهق الباطل)"[2].

إن ظاهرة التوكيد بمعناه الاصطلاحي الذي سنبحثه في هذه الجزئية من الدراسة نابعة من دلالة كل ما يُكسب المعنى القرآني قوة ويزيد من ثباته، ويترك أثره في النفس، إضافة إلى ما قصد إليه البلاغيون في استجلائهم للنص القرآني وقد تجلت هذه الظاهرة على نحو واضح للعيان في آيات الموت في سورتي البقرة وآل عمران، ففي قوله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(البقرة: 94) ففي هذه الآية "توكيد لمعنى الاختصاص المستفاد من تقديم الخبر، فقوله "فتمنوا الموت "جواب الشرط ووجه الملازمة بين الشرط – وهو أن الدار الآخرة لهم – وجزائه وهو تمني الموت أن الدار الآخرة لا يخلص أحد إليها إلا بالروح حين تفارق جسده، ومفارقة الروح الجسد هو الموت فإذا كان الموت هو سبب مصيرهم إلى الخيرات كان الشأن أن يتمنوا حلوله كما كان شأن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –"، وقد عدت هذه الآية في دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لأنها نفت صدور تمني الموت مع حرصهم على أن يظهروا تكذيب هذه الآية، ولا يقال لعلهم تمنوا الموت بقلوبهم لأن التمني بالقلب لو وقع لنطقوا به بألسنتهم لقصد الإعلان بإبطال هذه الوصمة فسكوتهم يدل على عدم وقوعه، وهذا بالنسبة لليهود المخاطبين زمن النزول[3].

ومن جانب آخر جاء التوكيد في هذا السياق القرآني من باب تأكيد معنى اليقين والإدراك "فهذه الآية هي أيضا من أعظم الدلائل عند أولئك اليهود على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنهم قد أيقن كل واحد منهم أنه لا يتمنى الموت، وأيقن أن بقية قومه لا يتمنونه لأنه لو تمناه أحد لأعلن بذلك لعلمهم بحرص كل واحد منهم على إبطال حكم هذه الآية"[4]. فالتأكيد على صدق قول اليهود بتوظيف حرف التوكيد (إن) استلزم توظيف أسلوب الشرط، بمعنى "إن كنتم صادقين في دعواكم أن الجنة لكم دون غيركم وجواب الشرط محذوف أي: فتمنوا الموت، وعلق تمنيهم على شرط مفقود وهو كونهم صادقين، وليسوا بصادقين في أن الجنة خالصة لهم دون الناس، فلا يقع التمني، والمقصود من ذلك التحدي، وإظهار كذبهم، وذلك أن من أيقن أنه من أهل الجنة اختار أن ينتقل إليها، وأن يخلص من المقام في دار الأكدار، وأن يصل إلى دار القرار"[5]. فتأكيد الخيار في هذه الآية الكريمة جاء مرتبطا بتأكيد القرار، بمعنى أنكم أيها اليهود إذا كنتم صادقين في قولكم أن الجنة لكم، فعليكم تأكيد ذلك بأن تتمنوا الموت، وهذا التأكيد الذي لم يتم، أكد الله سبحانه وتعالى في الآية التي تليها بأن اليهود لن يتمنوا الموت فقال سبحانه وتعالى ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 95) فالله يعلم بعلم الغيب عنده أن اليهود لن يتمنوا الموت

---

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص177).

(2) الخطيب، المعجم المفصل في الإعراب (ص139).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/614-616).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 616).

(5) أبو حيان، تفسير البحر المحيط (ج1/ 478).

وذلك لما اقترفوه من الذنوب والآثام، والناظر في سياق التقابل القرآني بين الآيات السابقة يجد فرقا بين تردد اليهود في توكيد فعل تمني الموت، وبين جزم الله سبحانه وتعالى وتأكيده على أن اليهود لن يتمنوا الموت، وهذا تأكيد على علم الله سبحانه وتعالى وقدرته.

أما عن التوكيد في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(آل عمران: 168) فقد جاء في هذه الآية مجتمعًا بين فعل (ادرءوا) وفعل (الصدق)، فما بين معنى دفع الموت والتحرز منه وبين مصداقية الكلام يظهر التوكيد بـــ(إن)، فمن خلال تفسير الآية الكريمة يتبين لنا علاقة حجة الطرفين بأسلوب التوكيد "فقوله (الذين قالوا لإخوانهم) معناه لأجل إخوانهم، وهم الشهداء المقتولون من الخزرج وهم إخوة نسب ومجاورة، ولا إخوة الدّين، أي قالوا لهؤلاء الشهداء: لو قعدوا أي بالمدينة ما قتلوا، فرد الله عليهم بقوله (فادرءوا) أي قل يا محمد إن صدقتم فادفعوا الموت عن أنفسكم، والدرئ: الدفع، بيَّنَ بهذا أنّ الحذر لا ينفع من القدر، وأن المقتول يقتل بأجله وما عَلِم الله وأخبر به كأين لا محالة"[(1)].

لقد ساق الله سبحانه وتعالى هذا الحوار في هذه الآية لبطل الدعوة القائلة بالقدرة على دفع الموت أو رده، ليؤكد الله للناس أن الموت أمر لا مفر منه، فمهما كانت أسبابه وطرائقه فالموت واحد "فأكذبهم الله تعالى في دعواهم، فكأنه قيل: القتل ضرب من الموت، فإن كان لكم سبيل إلى دفعه عن أنفسكم بفعل اختياري فادفعوا عنها الموت، وإن لم يكن ذلك دلّ على أنكم مبطلون في دعواكم"[(2)].

أما في قوله تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا فيها مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(آل عمران: 185) فقد جاءت الأية الكريمة حكما ثابتا لتؤكد على حتمية الموت ووقوعه، فالآية تؤكد على ارتباطها "بأصل الغرض المسوق له الكلام، وهو تسلية المؤمنين على ما أصابهم يوم أحد، وتفنيد المنافقين في مزاعمهم أن الناس لو استشاروهم في القتال لأشاروا بما فيه سلامتهم فلا يهلكوا.. ففي قوله كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، لأن المصيبة والحزن إنما نشأ على موت من استشهد من خيرة المؤمنين يعني أن الموت لما كان غاية كل حي فلو لم يموتوا اليوم لماتوا بعد ذلك فلا تأسفوا على موت قتلاكم في سبيل الله"[(3)].

نلاحظ مما سبق أن التأكيد على حقيقة الموت استتبعه صورة فنية مركبة، إذ جعل للموت طعما تذوقه كل الأنفس، ولم يقل الأرواح "ففي هذه الآية دلالة على أن النفس لا تموت بموت البدن، لأنه جعل النفس ذائقة، والذائق لا بد من أن يكون باقيا حال حصول الذوق، والمعنى أن كل نفس ذائقة موت البدن، وأيضا لفظ النفس مختص بالأجسام، وفيه تنبيه على أن ضرورة الموت مختصة بالحياة الجسمانية، فأما الأرواح المجردة فلا، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: لما نزل قوله تعالى {كل من عليها فان} قالت الملائكة مات أهل الأرض، ولما نزل قوله تعالى {كل نفس ذائقة الموت} قالت الملائكة متنا"[(4)]. وأعقب الله سبحانه وتعالى تأكيد حتمية الموت بتأكيد حتمية النعيم للمؤمنين " فدخول الجنة يشمل على نعمتين عظيمتين: النجاة من النار، ونعيم

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج5/405) البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، مج2 (ج4/130).

(2) أبو حيان، تفسير البحر المحيط (ج3/116).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج4/188).

(4) الرازي، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب (ج9/ 129).

الجنة"[1]. وأخيرا أكد الله على حقيقة الموت والفناء بأن ذكر أن الحياة الدنيا "متاع متروك يوشك أن تضمحل بأهلها، فنبغي للإنسان أن يأخذ من هذا المتاع بطاعة الله سبحانه ما استطاع"[2].

ثالثا: دلالة المجاز المرسل.

المجاز لغة مأخوذ من مادة جوز، فيقال: "جاز الموضع، سلكه وسار فيه، يجوز، جوازا، وأجازه، خلفه وقطعه، وأجتاز سلك، وجاوز الشيء إلى غيره، وتجاوزه بمعنى أي جازه، وتجاوز الله عنه أي عفا عنه، وأجاز له أي سوغ له ذلك، وتجوز في صلاته أي خفف، وتجوز في كلامه أي تكلم بالمجاز، وجعل ذلك الأمر مجازًا إلى حاجته أي طريقًا ومسلكًا"[3]. ويقول الجرجاني: "المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إن تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أهل اللغة وصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جاوزوا به موضوعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولًا"[4]. ويشير الزمخشري إلى أن المجاز من "جزت المكان وأجزته وجاوزته وتجاوزته، وأعانك الله على إجازة الصراط، وهو مجاز القوم ومجازاتهم، وعبرنا مجازة النهر وهي الجسر"[5].

أما اصطلاحًا فالمجاز هو "كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعًا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"[6]. ولعل من أبرز أنواع المجاز، المجاز المرسل الذي يتضمن جملة من العلاقات "وعلاقة المجاز المرسل معناها أن يكون هناك تلازم وترابط يجمع بين المعنيين، ويسوغ استعمال أحدهما موضع الآخر، وهذه العلاقات كثيرة"[7]. كما أن من أبرز علاقات المجاز المرسل الواردة في آيات الموت في سورة البقرة، العلاقة الكلية وهي "كون الشيء متضمنا للمقصود ولغيره"[8]. وهذه العلاقة المجازية تتضح في قوله تعالى﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾(البقرة: 19). فالله سبحانه وتعالى عندما ذكر فعل الحذر من الموت ذكر معه ردة فعل الإنسان، فالخوف من الصواعق نتيجة صوتها يدفع الإنسان إلى وضع أصابعه في أذنيه خشية الصوت المرتفع والقوي، وفي هذا قال أبو حيان "أراد بالأصابع لأن الاصابع كلها لا تجعل في الأذن، إنما تجعل فيها الأنملة، لكن هذا من الاتساع وهو إطلاق كل على بعض؛ ولأن هؤلاء لفرط ما يهولهم من إزعاج الصواعق كأنهم لا يكتفون بالأنملة، بل لو أمكنهم السد بالأصابع كلها لفعلوا، وعدل عن الاسم الخاص لما يوضع في الأذن إلى الاسم العام وهو الأصبع؛ لما في ترك لفظ السبابة من حسن أدب القرآن"[9].

وأخيرا نخلص إلى أن العلاقات البلاغية في آيات الموت أظهرت نوعًا من الخصائص الفنية، وهي:

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج4/ 189).
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج447/5).
(3) الرازي، مختار الصحاح (ص103).
(4) الجرجاني، أسرار البلاغة (ج1/ ص291).
(5) الزمخشري، أساس البلاغة (ص155-156).
(6) الجرجاني، أسرار البلاغة (ج260/1).
(7) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ص205).
(8) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، (ج1/ص255).
(9) أبو حيان، تفسير البحر المحيط (ج1/ 223).

1- استطاع التشبيه أن يزيد معنى الموت ودلالته وضوحًا وعمقًا، إذا عبرت الصورة التركيبية عن موقف الناس من الموت، وخوفهم من أسبابه الكثيرة.

2- قدرة التشبيه على اختصار الكلام وإيجازه، فالصورة أقوى تعبيرًا، وأدق تمثيلًا لمشهد الخوف من الموت.

3- عملت العلاقات البلاغية على تقريب المعنى الموت إلى ذهن المتلقي، فترك ذلك أثرًا في نفسيته، مما دفعه للتأمل والتفكير في الحياة والموت، وما بعد الحياة والموت، فالدلالة التصويرية في التشبيه تميل إلى إعمال العقل، واطلاق العنان للتأويل.

4- جاء التوكيد خادما لفحوى الموت ومعناه، إذ استطاع التوكيد أن يدفع المتلقي إلى اعتماد الخبر المقدم له من خلال سياق الآيات، ليجد أن الموت نتيجة حتمية مهما طال عمر الإنسان.

5- أثر التوكيد في ترسيخ عمق المعنى أثر في سياق التركيب السياقي للآيات، بمعنى أن الآيات الكريمة التي لجأت إلى التوكيد كان غايتها التركيبية توحيد أفكار القارئ نحو لفظ واحد هو الموت؛ لذلك كان التوكيد من باب التعميم وليس التخصيص في شأن الموت، فكل نفس ذائقة الموت حكم لا بد من تنفيذه.

6- برهن المجاز للمتلقي عن مدى القدرة الإلهية في تسيير البرق والرعد، كما جمع الله سبحانه وتعالى شعور القوة في صوت الرعد والبرق مع صوت الخوف والقلق المؤشر على الموت فكانت ردة الفعل أن وضع الأصابع في الأذن خوفا من الصواعق المسببه للموت.

المطلب الثاني: العلاقات والارتباطات المعنوية للموت.

تقوم الألفاظ في النص القرآني على شبكة من العلاقات والارتباطات التي تفضي في نهاية المطاف إلى بلورة المعنى وتجليته أمام المتلقي "فللألفاظ علاقة تربط بعضها ببعض، وتتمثل هذه العلاقة بوجهين، فمرة تكون باللفظ، ومرة تكون بالمعنى، والألفاظ تنقسم قسمين: القسم الأول ما لا علاقة فيه بين الألفاظ ؛ وهو مجموعة الألفاظ التي يستقل كل منها عن غيره بلفظه ومعناه والقسم الثاني؛ ما توجد روابط تربط أفراده بعضها ببعض، وهذه الروابط مرة تكون معنوية، ومرة تكون لفظية"(1). ومن هنا فإن لفظة الموت على الرغم من مجيئها متكررة في سياقها القرآني، إلا أنها اكتسبت معان مختلفة، نتيجة تجاورها لألفاظ أخرى أدت بدورها إلى إنشاء علاقات متنوعة، وقد جاءت هذه المعاني المترابطة على النحو الآتي:

أولًا: علاقة الموت بالنفاق.

النفاق لغةً يحمل معنيين الأول مأخوذ من "الإنفاق، والنفاق بالكسر جمع النفقة من الدرهم"(2).أما المعنى الثاني "هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفًا، يقال: نافق، ينافق، منافقةً، ونفاقًا، وهو مأخوذ من النافقاء أحد جحرة اليربوع، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه"(3). ويقول المازري "إنما سمي المنافق في الدين بهذه التسمية تشبيها له باليربوع في حيلته هذه؛ إما من جهة أن المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه وهو في ذلك كاليربوع إذ طلب من القاصعاء خرج من النافقاء، أو من جهة أن ظاهر المنافق الإيمان وباطنه الكفر، وهو في ذلك كاليربوع

---

(1) طارش، الوجوه الدلالية للألفاظ القرآنية، دراسة تأصيلية في غريب القرآن (ص9).

(2) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج4/ 1560) ابن منظور، لسان العرب (ج10/ 358).

(3) ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر(ج5/ 98).

ظاهر جحره تراب على وجه الأرض وباطنه حفرة "[1]. وقال العلماء "سمي المنافق منافقا لإظهاره غير ما يضمر"[2]. أما النفاق اصطلاحًا فهو "إظهار الإيمان وإخفاء الكفر"[3]. وهو أيضا "إبطال الكفر وإظهار الإيمان"[4]. وفي التعريفات "النفاق إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب"[5].

لقد تجلت علاقة الموت بالنفاق في مواضع مختلفة في آيات التنزيل الحكيم، ومن بينها قوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ(16) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(البقرة: 14- 20)

الناظر في هذه الآيات الكريمة يجد أن الموت والهلاك كانت ناتجة عن الصواعق والرعد والبرق مترافقا مع ظاهرة النفاق، إذ أجمعت كلمة المفسرين على أنها نزلت في المنافقين من عرب المدينة، فقد كتب الله عليهم أن ينمو الإسلام في موطنهم أي في المدينة، وقد كانوا كارهين للإسلام وأهله، فلم يكن لهم الشجاعة الكافية لمواجهة هذا الدين الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فأعلنوا أنهم مؤمنون في الظاهر، إلا أنهم كافرون بالباطن، فهم إذا لقوا المؤمنين قالوا إننا مؤمنون، بينما إذا خلوا بأصحابهم من المنافقين والمشركين من اليهود طمأنوهم بأنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، لذلك جاء التهديد والوعيد الرباني لهم من خلال تخويفهم بالصواعق التي تؤدي إلى الموت، فالظواهر الطبيعية في القرآن جاءت "لأجل الاعتبار والاستدلال، وصرف العقل إلى البحث الذي يقوى به الفهم والدين، فقد استحضر حال قوم مشاة في فلاة من الأرض نزل عليهم بعد ما أقبل ظلام الليل صيّب من السماء، قصفت رعوده، ولمعت بروقه، وتصور كيف يهوون بأصابعهم إلى آذانهم كلما حدث قاصف من الرعد، ليدفعوا شدة وقعه بسد منافذ السمع برؤوس الأنامل، وعبر عن الأنامل بالأصابع هذا التعبير المجازي اللطيف للإشعار بشدة عنايتهم بسد آذانهم، مبالغتهم في إدخال أناملهم في صماليخها، كأن كل واحد منهم يحاول بما دهمه من الخوف أن يغرس إصبعه كله في أذنه، حتى لا يكون للصوت منفذاً إلى سمعه، لما يحذره على نفسه من الموت الزؤام، ومعالجة الحمام، وهذا هو الجبن الخالع، ومنتهى حدود الحماقة؛ لأن سد الآذان ليس من أسباب الوقاية من أخذ الصاعقة ونزول الموت"[6].

---

(1) المازري، المعلم بفوائد مسلم (ج1/ 198).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج1/ 190).

(3) ابن حجر، فتح الباري (ج13/ 74).

(4) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير(ج1/ 84).

(5) الجرجاني، التعريفات (ص206).

(6) رضا، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار (ج1/ 177). الرازي، تفسير الفخر الرازي (ج2/84- 88). والصماليخ : وسخ صماغ الأذن وما يخرج من قشورها، والجمع صماليخ. ابن منظور، لسان العرب (ج3/ 41)

يذكر أبو حيان أن "الحذر والفزع والفرق والجزع والخوف نظائر الموت عرض يعقب الحياة، وقيل فساد بنية الحيوان، وقيل زوال الحياة.. فحال المنافقين في ظنهم أن ما أظهروه نافعهم وليس بنافعهم بمن نزلت به هذه الأمور مع الصواعق فإنه يظن أن المخلص له منها جعل أصابعه في أذانه وهو لا ينجيه ذلك مما يريد الله به من موت أو غيره ففي هذه الآية مثل لعدم خلاص المنافقين من عذاب الله بالجاعلين أصابعهم في آذانهم فإنهم وإن تخلصوا من الموت في تلك الساعة فإن الموت من ورائهم"[1]. وبذلك نستنتج أن اقتران النفاق بلفظ الموت ناتج عن إرادة الله في إرسال الصواعق على المنافقين وذلك عقابًا لهم على ما يظهرونه من الإيمان المزيف وما يبطنونه من الكفر والظلالة، فقد اكتسبت لفظة الموت هنا معنى العقاب والهلاك نتيجة للنفاق.

ثانيًا: علاقة الموت بالصدق.

الصدق لغة ضدُّ الكذب، وقيل "صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا، وصَدَّقه: قَبِل قولَه، وصدَقَه الحديث: أَنبأَه بالصِّدْق، ويقال: صَدَقْتُ القوم. أي: قلت لهم صِدْقًا وتصادقا في الحديث وفي المود والمصدق الذي يصدقك في حديثك، والمتصدق الذي يعطي الصدقة"[2]. وقال ابن فارس "الصاد والدال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولا وغيره من ذلك الصدق خلاف الكذب سمي لقوته في نفسه ولأن الكذب لا قوة له هو باطل وأصل هذا من قولهم شيء صدق أي صلب ورمح صدق ويقال صدقوهم القتال وفي خلاف ذلك كذبوهم والصديق الملازم للصدق والصداق صداق المرأة سمي بذلك لقوته وأنه حق يلزم ويقال صداق وصدقةً وصدقةً"[3].

أما الصدق اصطلاحًا فهو"هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب"[4]. وهو "مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا بل إما أن يوصف بالصدق والكذب، أو تارةً يوصف بالصدق، وتارة يوصف بالكذب على نظرين مختلفين"[5]. وذكر الماوردي فرقا بين الصَّادق والصِّدِّيق، فقال: "إن الصادق في قوله بلسانه، والصديق من تجاوز صدقه لسانه إلى صدق أفعاله في موافقة حاله لا يختلف سره وجهره، فصار كلُّ صِدِّيق صادقًا، وليس كل صادق صِدِّيقًا"[6].

إن للصدق أهمية كبيرة في حياة الأفراد، إذ تقوم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد على الصدق في مختلف الجوانب الحياتية، لا سيما تلك العلاقات التي تأخذ منحى التعاملات الإنسانية كالعهود والمواثيق؛ لذلك عدّها العلماء من أرفع المنازل فيقول ابن القيم "الصدق منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميَّز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تردَّ صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحكُّ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي

(1) أبو حيان، البحر المحيط (ج1/225).
(2) ابن منظور، لسان العرب (ج10/193). الرازي، مختار الصحاح(151).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج3/ 339).
(4) ابن عقيل، الواضح في أصول الفقه (ج1/ 129).
(5) الأصفهاني،الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص173).
(6) الماوردي، النكت والعيون أو تفسير الماوردي (ج3/ 43).

الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة، التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات، تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين"[1].

ولقد ارتبط الصدق بمعان ودلالات مختلفة في القرآن الكريم، ولعل من بينها الموت، وتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(البقرة: 94- 95). وقد نزلت هذه الآية "عندما قالت اليهود: إن الله لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل وبنيه، وقال أبو العالية والربيع: سبب نزول هاتين الآيتين قولهم {لن يدخل الجنة إلا من كان هودا} (البقرة: 111) و{نحن أبناء الله} و{لن تمسنا النار} وقوله {فتمنوا الموت} أي سلوه باللسان فقط، وإن لم يكن بالقلب، أو تمنوه بقلوبكم واسألوه بألسنتكم قاله قوم، أو فسلوه بقلوبكم، على أردإ الحزبين من المؤمنين، أو منهم، وقوله {إن كنتم صادقين} في دعواكم أن الجنة لكم من دون غيركم وجواب الشرط محذوف، أي فتمنوا الموت، وعلق تمنيهم على شرط مفقود وهو كونهم صادقين، وليسوا بصادقين في أن الجنة خالصةً لهم دون الناس، فلا يقع التمني، والمقصود من ذلك التحدي، وإظهار كذبهم، وذلك أن من أيقن أنه من أهل الجنة اختار أن ينتقل إليها، وأن يخلص من المقام في دار الأكدار، وأن يصل إلى دار القرار"[2]. وفي شأن العلاقة بين الموت والصدق والتمني يقول الماوردي: "فتمنوا الموت إن كنتم صادقين: لأنه من اعتقد أنه من أهل الجنة، كان الموت أحب إليه من الحياة، لما يصير إليه من نعم الجنة، ويزول عنه من أذى الدنيا، ثم قوله تعالى {لن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم} تحقيقًا لكذبهم وفي تركهم إظهار التمني قولان: أحدهما، أنهم علموا أنهم لو تمنوا الموت لماتوا، كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، فلذلك لم يتمنوه وهذا قول ابن عباس، والثاني: أن الله صرفهم عن إظهار التمني، ليجعل ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم"[3].

إذن فالموت والصدق معادلان موضوعيان، وأمران مكملان لبعضهما بعضًا في الآية السابقة، ولعل من لطيف العلاقة بين معنى الموت والصدق في السياق القرآني أن الموت جاء تحديًا وإثباتاً لإدعاء اليهود أن الجنة لهم، لذلك جاءت الحكمة الربانية التي تعلم ما في بواطن النفوس فوضعت المدعيين في اختبار الموت لإثبات مصداقيتهم الذي لم يتحقق" ولهذا قال تعالى مخبرا عنهم بقول الحق: ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم، تحقيقا لكذبهم"[4].

كما أن من لطيف العلاقة بين الموت ومعنى الصدق أن الله سبحانه وتعالى تحدى عباده في دفع الموت وأسبابه إن كانوا صادقين، وذلك في خطابه للمتخلفين في غزة أحد فقال تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: 168) ففي هذه الآية إشارة إلى أنه لا قدرة لمخلوق في رد أمر الموت إلا بإذن الله "فالحذر لا يُغني عن القدر"[5]. فالخطاب في هذه الآية موجه للخزرج الذين قتلوا يوم أحد، وهم من جلة المؤمنين، ومعنى الآية أن الذين قتلوا في أحد لو وافقوا رأي المتخلفين عن المعركة في التخلف والقعود ما قتلوا كما لم يقتلوا هم المتخلفون، فأكذبهم الله في دعواهم قائلا {قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين} "فكأنه قيل: القتل ضرب من الموت فإن كان لكم سبيل إلى دفعه عن أنفسكم بفعل اختياري فادفعوا الموت، وإن لم يكن ذلك دلّ على أنكم مبطلون في دعاكم، والمعنى إن

(1) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج2/ 257).
(2) أبو حيان، البحر المحيط (ج1/ 478).
(3) الماوردي، النكت والعيون أو تفسير الماوردي (ج1/ 161- 162).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج2/ 257)
(5) البغوي، معالم التنزيل، مج2 (ج4/130).

كنتم صادقين في دعواكم أن التحيل والتحرز ينجي من الموت فجدّوا أنتم في دفعه، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلًا، بل لا بد أن يتعلق بكم بعض أسباب المنون، وهب أنكم على زعمكم دفعتم بالقعود هذا السبب الخاص، فادفعوا سائر أسباب الموت، وهذا لا يمكن لكم البتة"[1].

وفي تفسيره لعلاقة الموت بالصدق قال الزمخشري: "إن قلت: فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود، فما معنى {إن كنتم صادقين}، ومعناه: أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال، وأن يكون غيره لأن أسباب النجاة كثيرة، وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته، ولو لم يقاتل لقتل، فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقاتلتكم، وما أنكرتم أن يكون السبب غيره ووجه آخر {إن كنتم صادقين} في قولكم {وأطاعونا وقعدوا ما قتلوا} يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين، كما قتلوا مقاتلين، وقوله {فادرؤوا عن أنفسكم الموت} استهزاء بهم، أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرؤوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا"[2].

وخلاصة الأمر فإن الإنسان الصادق إيمانه بالله سبحانه وتعالى هو ذلك الإنسان الذي يوقن بحقيقة أن الحياة الدنيوية حياة زائلة، وأن قدرة الإحياء والإماتة بيد الله، وهذا يعني أن الإنسان المسلم عليه الإنقياد لأمر الله والتسليم بأن العمل الصادق المخلص لوجه الله هو الذي يقربه من الله، وأنه لا سبيل للفرار من الموت مهما كانت الأسباب.

ثالثًا: علاقة الموت بالشهادة.

الشهادة لغةً مأخوذة من "شهد، الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام. تقول: شَهِدَ، أو شَهْدَ، وشَهِده شُهودًا فهو شاهد، والشهيد: الشاهد، والأمين في شهادة، والذي لا يغيب عن علمه شيء، والقتيل في سبيل الله، فهو فَعيل بمعنى فَاعل ومعنى مَفعول على اختلاف التأويل. والجمع شهداء، والاسم الشهادة.[3]. أما اصطلاحًا فالشهادة تأتي بمعنين، الأول، بمعنى شاهد أو حاضر المشهد" والشهداء جمع شاهد، أي حاضر"[4]. كما في قوله تعالى {وبنين شهود}(المدثر: 13). والمعنى الثاني جاء من الشهيد بمعنى المشهود له بالخير، فالشهيد هو المحتضر"لأن الملائكة تشهده"[5]. والشهيد هو "من مات من المسلمين في جهاد الكفار بسبب من أسباب قتالهم قبل انقضاء الحرب، كأن قتله كافر، أو أصابه سلاح مسلم خطأ، أو عاد عليه سلاحه، أو تردى في بئر أو وهدة، أو رفسته دابته فمات، أو قتله مسلم باغٍ استعان به أهل الحرب"[6]. وتجدر الإشارة إلى أن الفقهاء قالوا إن اسم الشهيد جاء بسبب أن "ملائكة الرحمة تشهده، أو لأن الله تعالى وملائكته شهود له بالجنة، أو لأنه ممن

---

[1] أبو حيان، البحر المحيط (ج116/3).
[2] الزمخشري، تفسير الكشاف (ج4/ 205).
[3] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج221/3) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (269) الفيروز آبادي، والقاموس المحيط (ص372).
[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج411/2).
[5] ابن منظور، لسان العرب (ج243/3).
[6] الشربيني، مغني المحتاج لمعرفة ألفاظ المنهاج (ج350/1-361). الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته (ج2/ 555). القونوي، أنيس الفقهاء (ص123). السمين، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (ص297).

يُسْتَشهد يوم القيامة على الأمم الخالية، أو لسقوطه على الشاهدة، أي: الأرض، أو لأنه حي عند ربه حاضر، أو لأنه يَشْهد ما أعد الله له تعالى من النعيم وقيل غير ذلك[1].

والناظر في سياق آيات القرآن الكريم يدرك أن بلاغته عظيمة جدًا، إذ وردت الشهادة بمعان مختلفة ففي سورة البقرة جاءت الشهادة بمعنى الشاهد الحاضر للموقف في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة: 133) كما أن شهادة حضور الموت وحفظ ما يقوله المحتضر تتطلب مصداقية مع الله والنفس، لذا جاءت هذه الآية مخاطبة "اليهود والنصارى الذين ينسبون إلى إبراهيم ما لم يوصِ به بنيه وأنهم على اليهودية والنصرانية، فردّ الله عليهم قولهم وكذبهم، وقال لهم على وجه التوبيخ: أشهدتهم يعقوب، وعلمتم بما أوصى فتدَّعون عن علم؟ أي: لم تشهدوا، بل أنتم تفترون، والشهداء جمع شاهد، أي حاضر، ومعنى حضر يعقوب الموت، أي مقدمته وأسبابه وإلا فلو حضر الموتُ، لما أمكن أن يقول شيئا"[2]. ووجه الدلالة في هذه الآية بين الموت والشهادة أن حضور الموت وشهادته في كثير من الأحيان يكون خاصا بأهل المحتضر لذلك ذكر الله أبناء يعقوب (إذ قال لبنيه) ولم يقل لعموم الناس، ففي هذه الآية نفي واضح بين "المشاهدة على نفي ما نسبوه إلى يعقوب وهو أن تنبيههم إلى أنهم لم يشهدوا ذلك يثير في نفوسهم الشك في معتقداتهم"[3].

الناظر في سياق العلاقة بين الشهادة والموت في الآية السابقة يجد أن الله سبحانه وتعالى قدم الشهادة على الموت وذلك لأهمية الشهادة في الحياة الدنيا، إذا بالشهادة الحقيقة وليست الشهادة المدعية ينصلح حال المجتمع ويتطور، وتخلو المجتمعات من الخلافات والنزاعات القائمة على الشهادات والأقوال المزورة، فالشهود عيون العدالة التي ترى بها، وأذانها التي تسمع بها، فالشهادة تتطلب البعد عن تزوير الأقوال لأنها من الكبائر، فقد حذر الله من كتمانها أو تزويرها ومن ذلك قوله ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 283)

وتجدر الإشارة إلى أن مجيء الشهادة أولا ثم الموت ثانيا يفضي بنا إلى إدراك تنبيه الله سبحانه وتعالى لعباده جميعهم أن بعد الحياة الدنيا وما يشهدونها فيها من أقوال مختلف يعقبها موت حيث سيتم محاسبة كل إنسان على شهاداته وأقواله التي كان ينطق بها.

وجاءت الشهادة في سورة آل عمران بمعنى الموت في سبيل الله، وللشهادة في سبيل الله مكانة رفيعة الدرجة، فالشهيد في الجنة يكون مع النبيين والصديقين لقوله صلى الله عليه وسلم: "حدثنا محمد بن عبد الله بن حوشب، حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول: مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فعلمت أنه خير"[4]. فالشهيد منزلته رفيعة عند الله فهو مكرم مغفور ذنبه، قال صلى الله عليه وسلم

---

[1] السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام (ج3/ 195). القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (ص161). ابن مفلح، المطلع على أبواب المقنع (ص116). ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، (ج2/ 247). الدسوقي، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (ج1/ 425). الدردير، الشرح الكبير على مختصر خليل (ج1/ 425- 426). السمين، عمدة الحفاظ (ص280).

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج2/411) البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل مج1(ج1/154).

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج1/ 731).

[4] البخاري، صحيح البخاري (ج2/ 1040) حديث رقم (2672).

"القتلى ثلاثة: مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله إذا لقي العدو قاتل حتى قتل، فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة، ومؤمن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله إذا لقي العدو قاتل حتى قتل، قال النبي فيه: ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاءٌ للخطايا، وأدخل الجنة من أي أبواب الجنة، ومنافق جاهد بنفسه وماله فإذا لقي العدو قاتل حتى يقتل فذاك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق، قال عبد الله: يقال للثوب إذا غُسل مصمص"[1].

إن المتمعن في قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (143) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(آل عمران: 142– 144)

يجد أن هذه الآيات قد تضمنت إشارةً واضحةً إلى علاقة الموت بالشهادة في سبيل الله، وما تؤدي إليه هذه الشهادة من دلالات إيمانية صادقة، لذلك كانت هذه الآيات " عتب شديد لمن وقعت منهم الهفوات يوم أحد، واستفهم على سبيل الإنكار أن يظن أحد أن يدخل الجنة، وهو مخل بما افترض عليه من الجهاد والصبر عليه، لذلك قال أم تحسبون أن تدخلوا الجنة من غير مجاهدة وصبر، وإنما استبعد هذا لأن الله تعالى أوجب الجهاد قبل هذه الواقعة، وأوجب الصبر على تحمل مشاقها، وبين وجوه مصالحها في الدين والدنيا، فلما كان كذلك كان من البعد أن يصل الإنسان إلى السعادة والجنة مع إهمال هذه القاعدة، أما قوله {ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون} فالخطاب للمؤمنين، وظاهره العموم والمراد الخصوص، وذلك أن جماعة من المؤمنين لم يحضروا غزوة بدر، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج مبادرًا يريد عير قريش، فلم يظنو حربًا وفاز أهل بدر بما فازوا به من الكرامة في الدنيا والآخرة، فتمنوا لقاء العدو، ليكون لهم كيوم بدر، وهم الذين حرضوا على الخروج لأحد فلما كان في يوم أحد ما كان من قتل عبد الله بن قميئة مصعب بن عمير الذّاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظانًا أنه رسول الله وقال قتلت محمدا، وصرخ بذلك صارخ، وفشا ذلك في الناس انكفوا فارين، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إليّ عباد الله حتى انحازت إليه طائفة واستعذروا عن انكفافهم.. فنزلت هذه الآية تلومهم على ما صدر منهم مع ما كانوا قرروا على أنفسهم من تمني الموت، وعبر عن ملاقاة الرجال ومجالدتهم بالحديد بالموت، إذ هي حالة تتضمن في الأغلب الموت، فلا يتمناها إلا من طابت نفسه بالموت، ومتمني الموت في الجهاد ليس متمنيا لغلبة الكافر المسلم، إنما يجيء ذلك في الضمن، لا أنه مقصود، وإنما مقصده نيل رتبة الشهادة، لما فيها من الكرامة عند الله"[2].

ويشير القرطبي إلى أن معنى الموت في قوله "ولقد كنتم تمنون الموت أي الشهادة من قبل أن تلقوه، أي تلقوا أسباب الموت وتمني الموت يرجع من المسلمين إلى تمنّي الشهادة المبنية على الثبات والصبر على الجهاد، لا إلى قتل الكفار لهم، لأنه معصية وكفر ولا يجوز إرادة المعصية، وعلى هذا يحمل سؤال المسلمين من الله أن يرزقهم الشهادة، فيسألون الصبر على الجهاد، وإن أدى إلى القتل"[3].

---

(1) الدرامي، سنن الدارمي (ج2272) حديث رقم(2411). قال البوصيري "هذا حديث موقوف" البوصيري، إتحاف الخيرة المهـرة بزوائـد المسـانيد العشرة (ج5/ 158) حديث رقم (14539) قال المنذري " إسناده جيد" المنذري، الترغيب والترهيب (ج2/ 279)

(2) أبو حيان، البحر المحيط (ج3/ 72– 73).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج5/339– 340).

إن الثبات على الدين الحق في سبيل الله ومواجهة الموت والجهاد في سبيل الله لم تكن مرتبطةً في يوم من الأيام بحياة إنسان حتى لو كان نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك نزل قوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ فهذه الآية من تتمة العتاب مع المنهزمين " أي لم يكن لهم الانهزام وإن قُتل محمدٌ، والنبوة لا تدرأ الموت، والأديان لا تزول بموت الأنبياء"[(1)]. ومن جانب آخر يذكر السعدي أن معنى قوله تعالى" {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ} أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره، ليسوا بمخلدين، وليس بقاؤهم شرطًا في امتثال أوامر الله بل الواجب على الأمم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال، ولهذا قال: {أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ} بترك ما جاءكم من إيمان أو جهاد، أو غير ذلك، ففي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده أن يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه، فقدُ رئيس ولو عظم، وما ذاك إلا بالاستعداد في كل أمر من أمور الدين بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فقد أحدهم قام به غيره وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله، والجهاد عنه، بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فبهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم"[(2)].

كما أكد الله سبحانه وتعالى على فضل الموت والاستشهاد في سبيله لما له من فضائل عديدة، فقال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: 169) يقول ابن عاشور: "الخطاب يجوز أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم، تعليما له، وليُعلم المسلمين، ويجوز أن يكون جاريًا على طريقة العرب في عدم إرادة مخاطب معين والحسبان الظن، فهو نهي عن أن يظن أنهم أموات وبالأحرى يكون نهيا عن الجزم بأنهم أموات، فقد أثبت القرآن للمجاهدين موتا ظاهرا بقوله (قتلوا) ونفى عنهم الموت الحقيقي بقوله (بل أحياء عند ربهم يرزقون) فعلمنا وإن كانوا أموات الأجسام فهم أحياء الأرواح، حياة زائدة على حقيقة بقاء الأرواح، غير مضمحلة بل هي حياة بمعنى تحقق آثار الحياة لأرواحهم من حصول اللذات والمدركات السارة لأنفسهم، ومسرتهم بإخوانهم، ولذلك كان قوله (عند ربهم) دليلًا على أن حياتهم حياة خاصة بهم، وليست هي الحياة المتعارفة في هذا العالم، وأعني حياة الأجسام وجريان الدم في العروق ونبضات القلب، ولا هي حياة الأرواح الثابتة لأرواح جميع الناس"[(3)]. ففي هذه الآية انتفى أن يكون قتل الشهيد موتاً شبيهًا بموت الإنسان العادي، فالشهيد مكانته عالية لذلك أخبر الله سبحانه وتعالى على أن الشهداء أحياء بأرواحهم عنده سبحانه وتعالى وهذا دليل مكانتهم المرموقة عند الله "فهذه الآية تدل على عظيم ثواب القتل في سبيل الله والشهادة فيه حتى أنه يكفر الذنوب"[(4)].

إذن نستطيع القول إن من معاني الموت التي جاءت بها آيات القرآن الكريم منها:

أولًا: ما يرتبط بالشهادة التي تعني حضور الموقف وحفظ ما دار فيه من أقوال وأفعال، والأمثلة على ذلك في القرآن كثيرة منها موقف يعقوب عليه السلام مع أولاده عندما جاءه الموت.

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج5/342).
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مج2/ 247).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج4/165– 166).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(ج5/413).

ثانيًا: الشهادة جاءت مرتبطة بالموت من خلال معنى الموت في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق، والدفاع عن الدين والأعراض والأنفس.

ثالثًا: دلّ فعل الموت في بعض الآيات على العموم والشمول، إذ لم يستثنى الله سبحانه وتعالى أحدا من الموت حتى الأنبياء، ولكن العبرة تكمن في الحفاظ على الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

رابعًا: علاقة الموت بالوصية.

تعرف الوصية في اللغة بمعان عدة: منها "أوصى الرجل ووصاه: عهد إليه، وأوصيت إليه، وأوصيت له بشيء، وأوصيت إليه إذ جعلته وصيّك، وأوصيت، ووصيّته، إيصاءً، توصيةً"[1]. وقال الزبيدي: "وصى الشيء وصيًّا اتصل، وأرض واصية متصلة النبات، وقد وصت الأرض، إذ اتصل نباتها"[2]. وقال الأصفهاني في المفردات الوصية هي "التقدم إلى الغير بما يعمل مقترنًا بوعظ، وتواصى القوم إذ أوصى بعضهم بعضًا"[3].

أما الوصية اصطلاحًا فقد عرفها الفقهاء بتعاريف مختلفة، فقال الكسائي "اسم لما أوجبه الموصي في ماله بعد موته، وبه ينفصل عن البيع، والإجارة والهبة، لأن شيئا من ذلك لا يحتمل الإيجاب بعد الموت"[4].

وقال القرطبي هي "هبة الرجل ماله لشخص آخر أو لأشخاص بعد موته أو عتق غلامه، سواء صرح بلفظ الوصية أم لم يصرح"[5]. ولعل من أهم أدلة مشروعيتها وارتباطها بالموت ما ورد في قوله تعالى﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180) فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 180- 181) ووجه الاستدلال في قوله تعالى {كتب عليكم} يقتضي الوجوب في تنفيذ الوصية، وقد جاء ذكرها في هذه الآية مقرونة بالموت، والسبب في ذلك "أنه لما كانوا عليه في أول الإسلام من بقايا الجاهلية في أموال الأموات فإنهم كانوا كثيرًا ما يمنعون القريب من الإرث بتوهم أنه يتمنى موت قريبه ليرثه، وربما فضلوا بعض الأقارب على بعض، ولما كان هذا مما يفضي بهم إلى الإحن وبها تختل الحالة الاجتماعية بإلقاء العداوة بين الأقارب كان تغييرها إلى حال العدل فيها من أهم مقاصد الإسلام ومعنى حضور الموت في قوله {إذا حضر أحدكم الموتُ} أي حضور أسبابه وعلاماته الدالة على أن الموت المتخيل للناس قد حضر عند المريض ونحوه ليصيره ميتا، فإن حضور الشيء حلوله ونزوله وهو ضد الغيبة، وخص الوالدين والأقربين لأنهم مظنة النسيان من الموص؛ لأنهم كانوا يورثون الأولاد أو يوصون لسادة القبيلة، وقدم الوالدين للدلالة على أنهما أرجح في التبدية بالوصية، وكانوا يوصون بإيثار بعض أولادهم على بعض أو يوصون بكيفية توزيع أموالهم على أولادهم"[6]. ثم ذكر الله حال من يبدل الوصية بعد موت الموصي" فقال **(فمن بدله)** أي غير الوصية في الأوصياء أو

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج15/ 394). الفيروز آبادي، القاموس المحيط(ص 1731).
(2) الزبيدي، تاج العروس(ج20/ 296).
(3) الأصفهاني، المفردات (ص525).
(4) الكسائي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (ج7/ 332- 333).
(5) القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد (ج2/ 336).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج2/ 146- 147).

الأولياء أو الشهود(بعد ما سمعه): أي بعد ما سمع قول الموصي، ورد الكناية إلى الوعظ، (فإنما إثمه على الذين يبدلونه) والميت بريء منه (إن الله سميع عليم) سمع لما أوصى به الموصي، عليم بتبديل المبدل أو سميع لوصيته عليم بنيته"[1].

وتجدر الإشارة إلى أنه قد لا تكون الوصية بالمال أو الإرث المادي، وإنما تكون في الوصية في حفظ الدين، وهذا ما ورد في قوله تعالى﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 131- 133) فيعقوب عليه السلام أوصى أولاده عند حضور الموت بالحفاظ على ما ورثوه من أبائهم وأجدادهم إلا وهو الدين القائم على الإسلام لله تعالى وطاعته وتوحيده، ولعل هذه الآية تتفق مع مصداقية قوله صلى الله عليه وسلم "عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا؛ سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، والملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وأورثوا العلم، فمن أخذه؛ أخذ بحظ وافر"[2]. والشاهد في هذا الحديث الذي حسنه ابن حجر، وصححه الألباني أن الأنبياء جميعهم لو يورثوا دينارًا أو درهمًا حتى يوصوا به لمن بعدهم، ولكنهم ورثوا العلم، والدين، والدليل على ذلك أيضًا ما ذكر من حديث أن النبي لم يوص قال: "حدثنا أحمد بن منيع، قال: حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم البغدادي، قال: حدثنا مالك بن مغولن عن طلحة بن مصرف، قال: قلت لابن أبي أوفى: أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: لا، قلتُ: كيف كتب الوصية، وكيف أمر الناس؟ قال أوصى بكتاب الله"[3] ولعل ما يؤكد ارتباط الوصية بالموت قوله صلى الله عليه وسلم: "من مات على وصية مات على سبيل وشهادة، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفورا له"[4]. وبذلك نجد أن الموت والوصية أمران مرتبطان مع بعضهما بعضًا، فقد تجلت رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أن شرع لنا الوصية حتى اللحظات الأخيرة من أعمارنا وحياتنا وذلك تمكينا للعمل الصالح، وزيادة في الخير والأجر والثواب لما له من دور في صلة الرحم والأقارب غير الوارثين، وفي مشروعية الوصية عند الموت سد لحاجة المحتاجين، ورصيد من الأجر للموصي بعد موته.

خامسًا: علاقة الموت باليقين.

اليقين لغة "العلم وإزاحة الشك، وتحقيق الأمر يقال أيقن يوقن إيقانًا فهو موقن، ويقن ييقن يقنًا فهو يقن واليقين نقيض الشك. ويقن الأمر يقنًا ويقنًا وأيقنه وأيقن به وتيقنه واستيقنه واستيقن به وتيقنت بالأمر واستيقنت به كله بمعنى واحد، وأنا على يقين

---

[1] البغوي، تفسير البغوي أو معالم التنزيل، مج1 (ج194/2).

[2] الترمذي، سنن الترمذي، الجامع الكبير، باب في فضل الفقه على العبادة (ج4/ 414) حديث رقم (2682). ابن حبان، صحيح ابن حبان(ج1/ 289) حديث رقم (88).

[3] الترمذي، سنن الترمذي، الجامع الكبير، باب ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص (ج3/ 620) حديث رقم (2119). ورد في صحيح مسلم مسلم، صحيح مسلم (1634)

[4] ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الوصايا، باب الحث على الوصية (ج2/ 901) حديث رقم (2701). ضعفه الألباني في الجامع (5848). وقال ابن الملقن " إسناده ضعيف" ابن الملقن، عمر (1429ه) التوضيح لشرح الجامع الصغير، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (ج17/ 182)

منه، وربما عبروا عن الظن باليقين، وباليقين عن الظن"[1]. واليقين أيضًا "صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها يقال: علم يقين ولا يقال: معرفة يقين، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم، ويقال: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين"[2]. وهو أيضًا "العلم الحاصل عن نظر واستدلال ولهذا لا يسمى علم الله يقيناً ويقن الأمر ييقن يقناً من باب تعب إذا ثبت ووضح فهو يقين فعيل بمعنى فاعل ويستعمل متعديًا أيضًا بنفسه وبالباء فيقال يقنته ويقنت به وأيقنت به وتيقنته واستيقنته أي علمته"[3]

أما اصطلاحًا فاليقين برأي العلماء والفقهاء "هو طمأنينة لقلب على حقيقة الشيء، يقال: يقن الماء في الحوض، إذا استقر فيه، وقيل: اليقين: رؤية العيان، وقيل: تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب. وقيل: اليقين: نقيض الشك. وقيل: اليقين: رؤية العيان بنور الإيمان، وهو كذلك اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقا للواقع غير ممكن الزوال والقيد الأول جنس يشتمل إلى الظن أيضًا، والثاني يخرج الظن، والثالث يخرج الجهل، والرابع يخرج اعتقاد المقلد المصيب"[4].

وقال العلماء أن اليقين درجات وهي "علم اليقين: وهو قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق. وعين اليقين: وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال، وعن الخبر بالعيان. وحق اليقين: وهو إسفار صبح الكشف ثم الخلاص من كلفة اليقين ثم الفناء في حق اليقين"[5]. ولعل من معاني اليقين الموت، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(الحجر: 99) قال ابن كثير"اعبد ربك حتى يأتيك الموت"[6] وقال الطبري: "يقول تعالى ذكرُه لنبيه صلى الله عليه وسلم: واعبد ربك حتى يأتيك الموت الذي هو موقن به، وقيل يقين وهو موقن به[7]. فاليقين هو التصديق بأمر الغيب، ومعرفة أن الله سبحانه وتعالى بيده مقاليد السموات والأرض، وإدراك الإنسان أن الموت والحياة وما يتعلق بالبشرية جميعها بيد الخالق البارئ المصور، لذلك يستوجب على الإنسان وهو يتدبر القرآن أن يدرك أبعاد الآيات الكريمة التي تتضمن الموت ودلالاته وارتباطاته ودونما شك فإن أهم ارتباطات الموت بإرادة الله سبحانه وتعالى، وهذا يتجلى في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾(البقرة: 243) ومناسبة هذه الآية "أن قوما من بني اسرائيل وقع فيهم الوباء، وكانوا بقرية يقال لها داوردان، فخرجوا منها هاربين فنزولوا واديًا فأماتهم الله تعالى، وقال ابن عباس كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارًا من الطاعون، وقالوا: نأتي أرضًا ليس بها موت، فأماتهم الله تعال، فمرَّ بهم نبي، فدعا الله تعالى فأحياهم"[8].

إن هذه الآية تأكيد واضح وصريح أن الموت أمره بيد الله، يقهر به عباده، فهو دليل على قدرته سبحانه وتعالى التي تفوق عقول العباد وإدراكهم يقول أبو حيان: "أنه تعالى متى ذكر شيئا من الأحكام التكليفية أعقب ذلك بشيء من القصص على سبيل الاعتبار للسامع، فيحمله ذلك على الانقياد وترك العناد، وكان تعالى قد ذكر أشياء من أحكام الموتى ومن خلفوا فأعقب ذلك

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج13/ 457).
(2) الاصفهاني، المفردات (ص718).
(3) الفيومي، المصباح المنير(ص261).
(4) الجرجاني، التعريفات (ص217).
(5) الهروي، منازل السائرين (ص68- 69).
(6) ابن كثير، تفسير ابن كثير (ج4/ 553).
(7) الطبري، تفسير الطبري (ج14/ 154- 155).
(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج4/209).

بذكر هذه القصة العجيبة، وكيف أمات الله هؤلاء الخارجين من ديارهم، ثم أحياهم في الدنيا فكما كان قادرًا على إحيائهم في الدنيا هو قادر على إحياء المتوفين في الآخرة، فيجازي كلا منهم بما عمل، ففي هذه القصة تنبيه على المعاد وأنه كائن لا محالة، فيليق بكل عاقل أن يعمل لمعاده بأن يحافظ على عبادة ربه، وأن يوفي حقوق عباده، فهذه القصة من عظيم آياته، وبدائع قدرته"[1]. ويذكر الطبري "أن هذه الآية تذكير لعباده أن الإماتة والإحياء بيده، وإليه دون خلقه"[2]. فاليقين بأن الموت أولا وأخيرا بيد الله هي طاعة تتجلى فيها روح الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والثقة بقدرته سبحانه وتعالى، والتسليم بقضائه وقدره، ولعل إخفاء الله سبحانه وتعالى ساعة الموت عن عبادة فيها من الحكمة الشيء الكثير، لذلك فالإنسان المسلم الموقن بأن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد عليه أن يوقن بأن الموت بيد الله سبحانه وتعالى وحتى إن تعددت أسبابه، وقد أكد الله سبحانه وتعالى على ذلك في مواطن كثيرة من القرآن ومنها قوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 145) وفي تفسير هذه الآية من سورة آل عمران يقول ابن كثير: "قوله {وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا} أي: لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له، ولهذا قال: كتابًا مؤجلًا كقوله {وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب} (فاط: 11) وكقوله {هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده} (الأنعام:2) وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه"[3]. ويزيد أبو حيان في تفسير أن علاقة الموت بيد الله قائلًا: "إن موت الأنفس محال أن تكون إلا بمشيئة الله، فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله له فيه، تمثيلًا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك، فليس له أن يقبض نفسًا إلا بإذن من الله"[4]، فالموت كما يذكر القرطبي "لا بد منه، وأن كل إنسان مقتولٍ أو غير مقتول ميتٌ إذا بلغ أجله المكتوب له، لأن معنى مؤجلًا إلى أجل، ومعنى بإذن الله: بقضاء الله وقدره، وأجل الموت: هو الوقت الذي في معلومه سبحانه"[5]

وخلاصة الأمر إن اليقين بأن الموت بيد الله توصل الإنسان المسلم إلى شدة الإيمان، وقوة الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وتعالى، فالموت دليل قدرة الله وعظمته، فاليقين بأن الموت بيد الله يزيد المسلم قربًا من ربه، وخضوعًا وخشوعًا له، فالمتحلي بصفة اليقين يدرك أن الحياة الدنيوية زائلة، وأن الآخرة هي الدار الباقية.

سادسًا: علاقة الموت بالأجر.

الأجر لغةً هو"الجزاء على العمل، والجمع أجور، والإجارة: من أجر يأجر، وهو ما أعطيت من أجر في عمل، والأجر الثواب؛ وقد أجره الله يأجره ويأجره أجرًا، وآجره الله إيجارًا، وأتجر الرجل: تصدق وطلب الأجر"[6] ويقول ابن فارس: "أجر: الهمزة والجيم والراء أصلان يمكن الجمع بينهما بالمعنى، فالأول الْكِرَاءُ على العمل، والثاني: جبر العظم الكسير، فأما الكراء

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط (ج2/258).
(2) الطبري، تفسير الطبري (ج4/ 413- 426).
(3) ابن كثير، تفسير ابن كثير (ج2/ 129).
(4) أبو حيان، البحر المحيط (ج3/ 75/ 76).
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج5/347- 348). البغوي، معالم التنزيل، مج2(ج4/ 115).
(6) ابن منظور، لسان العرب (ج4/ 10).

فالأجر والأجرة، وكان الخليل يقول: الأجر جزاء العمل، والفعل يأجر أجرًا، والمفعول مأجور، والأجير: المستأجر، والأجارة ما أعطيت من أجر في عمل"[1].

أما اصطلاحا فالأجر أو الأجرة كما يقول الراغب الأصفهاني "ما يعود من ثواب العمل دنيويًا كان أو أخروياً نحو قوله تعالى :(إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) (يونس:72) وقوله (وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) (العنكبوت: 27) وقوله (وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا) (يوسف: 57) والأجرة في الثواب الدنيوي، وجمع الأجر أجور، وقوله تعالى: (وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) (النساء: 25) كناية عن المهور، والأجر والأجرة يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد، ولا يقال إلا في النفع دون الضر، نحو قوله تعالى: (لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) (آل عمران: 199)، وقوله تعالى :(فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) (الشورى: 40) والجزاء يقال فيما كان عن عقدٍ وغير عقد، ويقال في النافع والضار، نحو قوله تعالى: (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً) (الإنسان: 12) وقوله تعالى :(فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) (النساء:93)"(2).

وقال العسكري أن الأجر: "يكون قبل فعل المأجور عليه، والشاهد أنك تقول: لا أعمل حتى أخذ أجري، ولا تقول لا أعمل حتى أخذ ثوابي، لأن الثواب لا يكون إلا بعد العمل، هذا على أن الأجر لا يستحق له إلا بعد العمل كالثواب، إلا أن الاستعمال يجري بما ذكرنا، وأيضا فإن الثواب قد شُهر في الجزاء على الحسنات، والأجر يقال في هذا المعنى، ويقال على معنى الأجرة التي هي من طريق المثامنة بأذى الأثمان، معنى المعاوضة بالانتفاع"[3]. وجاء في معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء أن الأجر: "هو العِوَض الذي يدفعه المستأجر للمؤجر في مقابل المنفعة المعقود عليها، وهو في عقد الإجارة بمنزلة الثمن في عقد البيع"[4]. وربما يأتي الأجر بعد الموت، أي في الحياة الأخرة، ومن هنا فإن العلاقة بين الأجر والموت هي علاقة أشبه بالقيام بالأعمال ثم إنتظار النتائج، وفي هذه الحالة يكون معنى الأجر هو الثواب الذي يناله الإنسان المسلم بعد الموت، فالمتتبع للسياق القرآني في قوله تعالى﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: 185). يدرك أن الموت ليس نهاية المطاف لكل إنسان خلقه الله على هذه الأرض فالموت هو المقدمة الأولية لحياة الأخرة التي يتم فيها محاسبة الله للعباد جميعهم، لذلك فالناظر في هذه الآية يدرك أمورًا مهمة منها: أن كل مخلوق ميت لا محالة، وأن كل مخلوق محاسب على أعماله إما يؤجر خيرًا أو شرًا، وهذا الحساب يأتي بعد الموت "(فكل نفس ذائقة الموت) وعد ووعيد للمصدق والمكذب، و(إنما توفون أجوركم) أي تعطون أجزية أعمالكم على التمام والكمال،(يوم القيامة) يوم قيامكم من القبور، وفي لفظ التوفية إشارة إلى أن بعض أجورهم يصل إليهم قبله، كما ينبىء عنه قوله صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، (فمن زحوح عن النار) أي بعد عنها يومئذ ونجى، والزحزحة في الأصل تكرار الزح وهو الجذب بعجلة، (وأدخل الجنة فقد فاز) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أي لذة الحياة الدنيا وزخرفها شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغره

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج1/ 62).

(2) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (ص64).

(3) العسكري، الفروق اللغوي (ص266).

(4) حماد، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء(ص28).

حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الأخرة، فأما من طلب الأخرة فهي له متاع"[1] ويشير ابن عطية إلى أن كل نفس حية ستموت بإذن الله ثم بعد الموت تقوم الساعة "وفي يوم القيامة تقع توفية الأجور، وتوفية العقاب"[2].

ويؤكد السعدي على أن "هذه الآية الكريمة فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنتقل عنها إلى دار القرار، التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر{فمن زحزح} أي: أخرج عن النار وأدخل الجنة {فقد فاز} أي: حصل له الفوز العظيم من العذاب الأليم، والوصول إلى جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ومفهوم الآية، أن من لم يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقي الشقاء الأبدي، وابتلي بالعذاب السرمدي. وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله {وإنما توفون أجوركم يوم القيامة} أي: توفية الأعمال التامة، إنما يكون يوم القيامة، وأما ما دون ذلك فيكون في البرزخ، بل قد يكون قبل ذلك في الدنيا كقوله تعالى {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر}"[3].

إن المتتبع لما جاء في المبحث الثالث من مضامين متنوعة كشفت عن عمق العلاقات الدلالية والارتباطات المعنوية للموت يدرك ما يأتي:

1- إن الله سبحانه وتعالى جعل من بلاغة الموت رسالة يفهمها كل لبيب ومتفكر في حقائق الكون والوجود.
2- تضمنت لفظة الموت جملة من العلاقات المتجاورة على سبيل المعنى التوضيحي، فقد ذكر الله الموت تحذيرًا للمنافقين وإشادة بالصادقين الذين يصدقون الله في أقوالهم ، وتحذيرًا للمكذبين بحقيقة الفناء. كما ارتبط الموت بالشهادة من جانبين؛ الأول جانب الحضور الشخصي للمواقف والأحداث والأقوال والأفعال، وجانب الموت في سبيل الله، كما تضمنت لفظة الموت إشارة إلى حكمة الله في تدبير شؤون خلقه، فالموت حق على كل نفس خلقها الله فيما بينهم الأنبياء. وجاءت علاقة الموت بالوصية إشارةً من الله سبحانه وتعالى إلى ذكر أهمية الوصية قبل أن يداهم الإنسان الموت، كما دل اليقين على الإيمان الخالص بالله سبحانه وتعالى، والإيمان بقضائه وقدره، وأن الموت بيده سبحانه وتعالى، وأشارت الإيات أيضًا إلى أن الموت في الدنيا لا يعني انقطاع النفس وزوالها إلى الأبد بل الموت الدنيوي هو مرحلة انتقالية من حياة الدنيا إلى الأخرة، حيث يكون الحساب إما أجرًا أو عقابًا.

المبحث الرابع: أثر الموت وحكمته في الحياة البشرية.

إن مما لا شك فيه أن للموت تأثيرًا على كل نفس خلقها الله سبحانه وتعالى، وقد تتنوع هذه التأثيرات بين نفس وأخرى، فمنها ما يزيد الإنسان ثباتاً على الدين، وزيادة في الإيمان، ومنها ما يضعف النفس البشرية، ويؤدي بها إلى التراجع عن ثبات القلب على الحق والإيمان، وحسن الظن بالله الرحيم المنان، فالإنسان المؤمن بأن الموت هو بداية لحياة الأخرة هو الذي يسعى لأن يجعل له رصيدًا من الحسنات في دنيانا الفانية ليلقى بها الموت دونما وجل أو قلق، بعكس ذلك الإنسان الذي سلبه الخوف من الموت والقلق منه حياته النفسية والدينية والاجتماعية، كذلك فإن لموت الحياة البشرية حكمة من مشروعيتها الربانية، ومن

[1] أبو السعود، تفسير أبو السعود، أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج3/ 123). الطبري، تفسير الطبري(ج6/ 288).
[2] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(ج1/ 550).
[3] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص266). الرازي، تفسير الرازي أو مفاتح الغيب(ج9/128- 131).

هنا فإن الناظر في حقيقة الموت يدرك أن للموت أثر وحكمة في الحياة الإنسانية، أما عن الأثر الذي يتركه الموت في الحياة البشرية يكمن فيما يلي:-

المطلب الأول: الجوانب النفسية. ومن أهم هذه الجوانب ما يأتي:

أولاً: جانب الاعتقاد الديني.

يقصد بالاعتقاد الديني ذلك الاعتقاد النابع من شعور الفرد بجوانب الالتزام الديني القائم على "التزام الفرد المؤمن بما جاء في القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم من القيم والمبادئ والقواعد والمثل الدينية سرًا وعلانيةً، والالتزام بقيم المجتمع الإسلامي"[1]. ويعد التدين أو الالتزام الديني أمرًا فطريًا لدى الإنسان في مختلف المجتمعات، وقد يسهم في تنميته وتقويته جملة من العوامل لعل منها التنشية الاجتماعية، فالتدين "يزيد وينقص لدى الفرد حسب التنشئة الاجتماعية وتدعيمها لتوجهات الفرد الدينية، كما أن الدين ذو طبيعة داخلية لدى الفرد، ويصبح عنده كالنواة الأساسية التي يدور حولها في كل تعاملاته وتصرفاته ممثلة في العقيدة السليمة"[2]. وللجانب الديني علاقة مهمه بين وجدان الإنسان وخالقه، إذ تقوم هذه العلاقة على حب العبد لخالقه، والإلتزام بطاعته والإخلاص في عبادته دون أن يشرك به شيئا، وفي هذا يشير أحد الباحثين "تقتضي هذه العلاقة في الإسلام حب الله، وحب رسوله، والخوف من الله رغبة ورهبة من الله، هذه العلاقة يوجد لها صدى في ضمير الفرد ووجدانه، فتصبح لدى الملتزم دينيا عبارة عن المحرك له في جميع أفعاله"[3]. ولما كان الإيمان الإنساني بقضاء الله وقدره جانبًا مهمًا من الجوانب الدينية للشخصية الإسلامية، وحالة من ثبات النفس الإنسانية المسلمة على اليقين بالله سبحانه وتعالى، لا سيما فيما يخص الموت، وأحد أهم الجوانب النفسية والفكرية التي يجب أن يتمتع بها الإنسان المسلم في موجهة الأزمات والمصائب المقدرة عليه كالموت، فالموت أمر واقع لا محالة ولا جدال فيه، وكل مخلوق في هذه الدنيا من أهل السماء والأرض خلقه الله ميت حتمًا، فقد قال الله تعالى﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: 88) وقال الله تعالى﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾(الرحمن:26-27).

كما أن في خطاب الله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم تأكيدًا جازمًا على أن الموت لا يُستثنى منه أحد حتى الأنبياء فقال سبحانه وتعالى﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر:30-31) فالإيمان والتسليم بقضاء الله في ما يخص الموت هي من علامات الإنسان المؤمن الموقن بأمر الله، فأصل الإيمان كما يذكر الأصفهاني "الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، والإيمان يستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ويوصف به كل من دخل في شريعته مقرا بالله وبنبوته، وتارة تستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق"[4]. وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإيمان يحصل للإنسان "إذا استقر في القلب التصديق والانقياد"[5]. وقال في موضع آخر "لا يمكن أن يكون هنالك إيمان بالله دون وجود إيمان بالقلب" [6]. والإيمان بالله

[1] بركات، الاتجاه نحو الالتزام الديني وعلاقته بالتكيف النفس والاجتماعي لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة (ص116).

[2] عسلية وحمدونه،الالتزام الديني وعلاقته بكل من قلق الموت وخبرة الأمل لدى طلبة كلية التربية بجامعة الأزهر بغزة (مج 42)، ع(3) (ص731).

[3] موسى، سيكولوجية التدين، مجلة التقويم والقياس النفسي والتربوي (مج5)، ع(9)، (ص440).

[4] الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (90- 91).

[5] ابن تيمية، الصارم المسلول (ص519).

[6] ابن تيمية، الإيمان (ص7-10).

وقضائه هو "التصديق، والثقة والطمأنينة، والإقرار[1]. وحتى يكون الإنسان المسلم مستعدا للموت عليه أولا أن يعزز إيمانه بالله ويزيد من ثقته به، فالقول بأن الإيمان "تصديق بالقلب، وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال... كما أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفة القلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه ثلاث خصال كان مؤمنا، دلَّ على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين"[2].

كما أن اليقين بأن للموت موعدًا وأجلًا يعلمه الله يريح النفس الإنسانية المؤمنة، ويجعلها أقوى ثباتا على التمسك بالدين والعمل على تزين حياتها الآخرة بالأعمال الصالحة، فقد أخبرنا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم أن الزيادة في عمر الإنسان تأتي من ذريته الصالحة المؤمنة بأن الموت ليس نهاية كل شيء، وأن الموت هو مرحلة انتقالية بين دار الفناء ودار البقاء، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عند ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى: قال: ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيادة في العمر فقال "إنَّ الله تعالى: لا يؤخِّر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنّما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادةُ العمر"[3]. وبذلك يكون الاعتقاد الديني والالتزام به أحد أهم المكونات الرئيسية في دعم الشخصية الإسلامية في مواجهة حقيقة الموت "فالالتزام الديني أحد المتغيرات الأساسية في بناء شخصية الإنسان بناءً قيميًا وإيمانيًا، إذ يحيطهم بسياج من الرعاية النفسية والاجتماعية عند التعرض للأزمات والاضطرابات والأمراض النفسية والعقلية، حيث يوفر كل أسباب التكيف، والتوافق، والتفاعل الإيجابي مع المجتمع، لينطلق نحو العمل والانتاج والبناء، وتحقيق النفع له ولمجتمعه"[4].

وأخيرًا فالإيمان بحقيقة أن الحياة والموت بيد الله يزيد الإنسان إندفاعًا نفسيًا نحو العمل والبناء، والسعي نحو تطوير ذاته ومجتمعه، فلا يخضع لسلبيات النفس المصاب بالخوف من الموت، والداعية إلى الإحباط، والتثبيط، فالوازع الديني يشكل عاملًا مهمًا في صقل الشخصية الإنسانية المسلمة، ودفعها نحو قناعات دينية رسمها الله لعباده في محكم التنزيل، لعل أهمها الغاية من حقيقة خلق الإنس والجن فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: 56- 58) فهذه هي الغاية من خلق الله الجن والإنس، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم، والإنسان المؤمن هو الذي يدرك أن حقيقة الحياة والموت ملخصها غاية العبادة والطاعة.

ثانيًا: جانب الاعتقاد النفسي.

ركزت كثير من الدراسات النفسية المعاصرة على ظاهرة تقبل الأفراد للموت، ولعل من أهم الدراسات تلك التي كشفت عن قلق النفس الإنسانية من الموت، فالقلق النفسي من الموت نابع من حيث أن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يدرك أن

---

[1] البدر، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه (ص33).

[2] الآجري، الشريعة (ص119).

[3] ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين(ج10/ 3174). الطبراني، المعجم الأوسط للطبراني (ج3/ 343)، حديث رقم (3349).

[4] صالح، الالتزام الديني وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلبة كلية العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، العراق (ص9).

الموت حقيقة ثابته في الوجود، وأن حياته ليست خالدةً، كما أنه يدرك أن الموت قد يأتي في أي لحظة، وفي أي مكان، لذا فإن "توقع فجائية الموت هو المثير الأساسي للقلق عنده"[(1)].

إن الخوف من الموت يزيد من النفس الإنسانية قلقاً وتوترًا، مما يعمل على تشويش الفكر الإنساني، واضطراب حياته الإنسانية "فالقلق والخوف من الانفعالات السلبية التي يضطرب لها الإنسان كله جسميا، ونفسيا، يمكن وصفهما بأن كل واحد منهما حالة وجدانية يصاحبها اضطراب فسيولوجي ونفسي، غير أن القلق عبارة عن خوف من خطر محتمل، كالخوف من المجهول، وعادة يميل الإنسان إلى الخوف من المجهول، وغير المتوقع، وفي الموت جوانب كثيرة مجهولة وغامضة خفية وغير متوقعة، كما أن الموت خبرة جديدة غير مسبوقة، من أجل ذلك يخاف كل إنسان تقريبًا من الموت"[(2)].

ومما لا شك فيه أن سلوك الناس في الوقت المعاصر يظهر رغبتهم في عدم التفكير في الموت وذلك خوفاً من التفكير فيه وفي ما يليه من أهوال ومصاعب، والواقع أن فكرة الإنسان عن حقيقة الموت وما سيواجهه بعد الموت من حساب تقض مضجعه وتقلق تفكيره، فالخوف النفسي من الموت هو قلق نفسي يختلط بمشاعر الرهبة والجزع والخشية من المجهول، فحالة الفزع النفسي التي يسببها الموت من فقد للأحبة وللأهل والأبناء هو قلق نادر من نوعه "فقد يأبى المحتضر نفسه وهو على فراش الموت أن يسمع كلمة موت"[(3)]. وإذا ما تفكرنا في هذا النوع من القلق النفسي سنجد أنه لا داعي له، لا سيما عند الإنسان المسلم، فالموت مصير محتم على العباد، ولو كان هنالك إطمئنان نفسي لما بعد الموت لكان الإنسان أشد تماسكاً وثباتًا.

ينعكس القلق النفسي من الموت على الإنسان نفسه، وعلى أفعاله وتصرفاته، فربما يدفعه كثرة التفكير النفسي بالموت إلى الصراع النفسي والاضطراب الفكري، والتشتت والضياع، فينعكس ذلك على وجوده في محيطه الاجتماعي "فالخوف من الموت هو أصل كل القلق الذي يصيب الإنسان في حياته، وأساس كل الأفكار والتصرفات العدائية"[(4)]. وفي هذه الحالة قد يصاب المجتمع الإنساني بتفكك نفسي، وقلق اجتماعي لما قد ينتج عن تفكير الإنسان بالموت، فتزداد الرجعية الاجتماعية، وتتوقف عجلة النمو البشري وتكثر الجريمة من خلال ازدياد البطالة الناتجة عن التشتت النفسي والبعد عن النهج الإسلامي الذي دائما ما كان مصيبا في شأن الحياة والموت.

المطلب الثاني: الحكمة من مشروعية الموت في الحياة البشرية.

أعطى الإسلام الإنسانية حياة جميلة مفعما بالأمل والسعي المستمر لإعمار الكون وتطويره بإرادة الله سبحانه وتعالى، ولعل تناسل الأجيال واستمرار بقائها منذ أن خلق الله أدم وحتى هذه الساعة دليل على أن الحياة والموت سنة الله في خلقه، فالإنسان المتدبر لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يدرك أن الموت ليس حلقة أخيرة في حياة الإنسان المسلم الموحد لله، فالحياة والموت متعاقبان في الكون كتعاقب الليل والنهار، وهذا جزء يسير من حكمة مشروعية الموت.

---

(1) مرسي، علاقة سمة القلق في المراهقة والرشد بإدراك الخبرات المؤلمة في الطفولة (مج8) (ص342).

(2) عسلية وحمدونه، الالتزام الديني وعلاقته بكل من قلق الموت وخبرة الأمل لدى طلبة كلية التربية بجامعة الأزهر بغزة، (مج 42)، ع(3) (ص734-735).

(3) إبراهيم، المشكلة الخلقية (ص79).

(4) عبد الحميد، قلق الموت وعلاقته بكل من دافعية الإنجاز والجنس ونوعية التعليم لدى عينة من طلبة الجامعة، (مج 35)، (ص105).

لقد شرع الله الموت لحكم كثيرة منها أن الموت ظاهرة مهمه من الظواهر التنظيمية التي أوجدها الله سبحانه وتعالى في الكون الواسع الممتد، شأنها شأن أي شيء خلقه الله سبحانه وتعالى بحكمته وعلمه، والواقع أننا لو تأملنا فكرة الموت لوجدنا أن لها تأثيرًا اجتماعيًا على وجه الكرة الأرضية وفي هذا الكون، فالمتبصر في حركة الموت يدرك أن حكمة الله سبحانه وتعالى في جعل الموت والفناء وسيلة للحفاظ على حقيقة التناسل البشري، ففكرة عدم وجود الموت، وأن الإنسان يتوالد ويتكاثر على هذا الكون دون موت لضاقت الأرض على من فيها، وازدادت المشكلات الإنسانية عبر الأزمان، ولعاش الإنسان في صراع دائم بينه وبين ذاته، وبينه وبين غيره من البشر، كذلك "فكما أن للحياة حكمة، فإن للموت حكمة وغاية، وتكتمل الحكمتان في اختبار الإنسان، وامتحانه في حياة أخرى باقية، فإن الإسلام جعل من الموت هدفا، فاستراح الإنسان بعد أن عرف حكمة الله من الحياة ومن الموت"[(1)]. ولعل من أهم حكمة الموت كذلك أن الله "لم يخلق البشر في الدنيا على خِلْقة قابلة للدوام، بل جعلهم خلائف في الأرض، يخلف بعضهم بعضًا، فلو أبقاهم لفاتت المصلحة والحكمة في جعلهم خلائف"[(2)]. ومن حكمة شروع الموت أيضا "أن الموت يخلِّص المؤمن من نكد هذه الحياة التي حشيت بالغُصَص، وحُفَّت بالمكاره والآلام الباطنة والظاهرة، إلى نعيم لا ينفد وقرَّة عين لا تنقطع وسعادة لا تنتهي في ظلال وارفة وبساتين مؤنقة وجنات دائمة مع خيرة الرفقاء وأطيب الأصفياء"[(3)].

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة المعنونة بـــ "دلالات الموت ومعانيه في الزهراوين: البقرة وآل عمران "إلى دلالات الموت من خلال آيات الموت الواردة في سورتي البقرة وآل عمران، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج هي:

1. أجمع الفقهاء والعلماء وأهل التفسير على أن الموت والحياة ومشتقاتهما وردا في القرآن الكريم متساويان، إذ ذكرا مائة وخمسة وستين مرة بالتساوي في جميع سور وآيات القرآن الكريم، أما بالنسبة لسورتي البقرة وآل عمران فقد ورد الموت اسمًا مفرد في ثمانية مواضع، وورد جمعًا في خمسة مواضع، بينما ورد فعل الإماتة في السورتين في عشرة مواضع جاءت على النحو الآتي: ثلاثة منها جاء بصيغة الماضي، وخمسة منها بصيغة المضارع، ومرةً واحدةً بصيغة الأمر، وجاء الموت بعد ظرف في السورتين في ثلاثة مواضع، ولعل مجيء هذا العدد في هاتين السوريتن يتضمن إشارة ربانية مهمة، وهي أن الغاية من الخلق والإحياء والإماتة عبادة الله وطاعته، والامتثال لأوامره ونواهيه، ويكون هذا بالإيمان بقضائه وقدره من خلال الإيمان بحقيقة الموت.
2. إن سورتي البقرة وآل عمران من السور التي حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على تدبرهما وتعلمهما لما فيهما من الحكم والأحكام والمعاني والدلالات الخير الكثير، إذ دلت الأحاديث النبوية الشريفة على فضائل هاتين السوريتن وعلى مكانتهما العظيمة بين سور القرآن الكريم.
3. تنوعت دلالات الموت ومعانيه في الزهراوين بين علاقات دلالية بلاغية، وبين ارتباطات معنوية.

---

(1) عبد القادر، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي (ص52). عبد الخالق، قلق الموت(ع 111) (ص158- 159).

(2) ابن القيم، شفاء العليل (ص241).

(3) الصادق، الثبات على دين الله وأثره في حياة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (ج2/ 978).

4. دلت العلاقات الدلالية البلاغية في توظيف لفظة الموت على أساليب القرآن الكريم في ضرب المثل وإنشاء صور التشبيه المؤدي إلى الوعظ والاتعاظ، كما دلّ التوكيد في آيات الموت على إلزامية الموت وحتميته، ووجوب الإيمان به إيماناً بالقضاء والقدر، أما دلالة المجاز المرسل، فقد أبانت عن قدرة الله سبحانه وتعالى في توضيح خوف المنافقين والكفار من الموت، فكانت العلاقة المجازية بين الموت ودلالاته البلاغية علاقة كلية قائمة على تفاعل النسق القرآني مع العمق الدلالي للموت.
5. جاءت علاقات الموت وارتباطاته المعنوية متراوحةً في معانيها من خلال السياق القرآني التي وردت فيه، فقد دلّ لفظ الموت على ارتباطه بظواهر معينة مثل النفاق والصدق والشهادة والوصية واليقين والأجر وقد تضمنت هذه الظواهر أبعادًا تفسيرية ارتبطت بحقيقة الخوف من الموت وعاقبته.
6. يؤثر الموت في الحياة البشرية تأثيرًا متفاوتًا بين شخص وآخر، ولعل من أبرز الجوانب التي يترك الموت أثرًا فيها الجوانب النفسية، فإذا كان الإنسان مؤمناً بالله يقيناً فإن الموت لا يؤثر به، بل يزيده أيماناً وتوكلًا على الله، فالإنسان المسلم الواثق بالله سبحانه وتعالى لا يجزع من ذكر الموت، بينما الإنسان غير السوي المبتعد عن الإيمان بالله سبحانه وتعالى فإن الموت يشكل له قلقًا نفسيًا، وخوفًا متزايدًا قد ينعكس على دوره في الحياة الاجتماعية والإنسانية، لذلك على الإنسان المسلم أن يسلم أمره لله سبحانه وتعالى فهو الذي خلقه وبث فيه من روحه وهو الذي أنشائه وأحياه وهو الذي يميته.
7. إن مشروعية الحكمة من الموت هي مشروعية متعددة ولعل أهمها تجلية قدرة الله سبحانه وتعالى لعباده، فهو القاهر فوق عباده الذي قهرهم بالموت حتى يتعظوا ويدركوا أن الوحدانية لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يوجد مخلوق مخلد في هذا الكون، والحكمة من الموت أن الإنسان الذي يعيش في كبد ومشقه يتخلص من هذه المعاناة، فإذا كان مؤمناً بالله صلحت أعماله في الدنيا كان قبره روضة من رياض الجنة، وأما إذا كان على غير ذلك فسيكون قبره حفرة من حفر النار، والموت كذلك لا يعني الفناء الأبدي بل هي مرحلة انتقالية بين دار الفناء ودار البقاء.

التوصيات:

بناءً على ما توصلت إليه الدراسة الحالية من نتائج فإنها توصي بما يأتي:

1- إجراء مزيد من الدراسات القرآنية في مجال إيضاح حقيقة الحياة والموت في ضوء المتغيرات الإسلامية المعاصرة وإظهار الجوانب الإيجابية للحياة عند الإنسان في سبيل تعزيز ثقافته الإيمانية بحتمية الموت والعمل لهذه اللحظة.

2- توعية الإنسان المسلم بحقيقة أن الموت حكمة الله في هذا الكون، وذلك من خلال المحاضرات التوعوية وحلقات الدروس الإسلامية.

3- زيادة التوجيه الديني نحو حسن الظن بالله، وزيادة الإيمان بقضاء الله وقدره، وتجنب سوء الظن المؤدي إلى الكفر والتهلكة.

4- تنبيه المجتمعات المسلمة على إلتزام جوانب الطاعة والعبادة والتحلي بصفات خلقية كريمة كالصدق في القول والفعل، حتى يكون ذلك رصيدًا لها عند لقاء الله، فالخوف من الموت يدفع الناس إلى استذكار رهبته، ومهابة لقاء الله فيكون الموت رادعًا لها.

5- التركيز على حقيقة أن موت الحياة الدنيا ما هو إلا مرحلة انتقالية لحياة الأخرة، لذلك يجب الإكثار من وسائل التوعية الإسلامية في هذا الجانب.

تم بحمد الله

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. إبراهيم، زكريا. (1992). *المشكلة الخلقية*. ط1. القاهرة: مكتبة مصر.
3. ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات. (1963). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: محمود الطناجي وطاهر الزاوي. ط1. بيروت: المكتبة الإسلامية.
4. الأصفهاني، الراغب. (1980). *الذريعة إلى مكارم الشريعة*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
5. الأصفهاني، الراغب. (2009). *مفردات ألفاظ القرآن الكريم*. تحقيق: صفوان داوودي. ط1. دمشق: دار القلم و الدار الشامية.
6. الألباني، محمد ناصر الدين. (1408ه). صحيح *الجامع الصغير وزيادة*. أشرف على طبعه: زهير الشاويش. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي.
7. البخاري، محمد اسماعيل. (1993). صحيح *البخاري*. تحقيق: مصطفى البغا. ط3. بيروت: دار ابن كثير.
8. البدر، عبد الرزاق. (2006). *زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه*. ط2. الرياض: كنوز إشبيليا.
9. بركات، زياد. (2006). *الاتجاه نحو الالتزام الديني وعلاقته بالتكيف النفس والاجتماعي لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة* (رسالة ماجستيرغير منشورة). جامعة القدس المفتوحة، غزة.
10. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1409ه). *تفسير البغوي، معالم التنزيل*. تحقيق: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش. ط1. الرياض: دار طيبة.
11. البوصيري، أحمد بن أبي بكر. (1420ه). *إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة*. (د. ط). الرياض: دار المشكاة ودار الوطن.
12. الترمذي، أبو عيسى محمد. (1996). *سنن الترمذي، الجامع الكبير*. تحقيق: بشار معروف. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
13. التهاوني، محمد علي. (1996). *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. ط1. بيروت: لبنان ناشرون.
14. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (2004). مجموع *الفتاوى*. ط1. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
15. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد عبد الحليم. (1996). *الإيمان*. خرج أحاديثه: محمد بن ناصر الألباني. ط5. بيروت: المكتب الإسلامي.
16. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد عبد الحليم. (1983). *الصارم المسلول*. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. الرياض: الحرس الوطني السعودي.
17. الثعالبي، أبو منصور. (1346ه). *فقه اللغة*. (د. ط). القاهرة: المطبعة الرحمانية.
18. الجرجاني، الشريف علي بن محمد. (2004). *التعريفات*. تحقيق: محمد صديق المنشاوي. ط1. القاهرة: دار الفضيلة.
19. الجرجاني، عبد القاهر. (2014). *أسرار البلاغة*. تحقيق. محمد الفاضلي. ط1. بيروت: شركة أبناء شريف الأنصاري.
20. الجرجاني، عبد القاهر. (1969). *دلائل الإعجاز*. تحقيق: عبد المنعم خفاجي. ط1. القاهرة: مكتبة القاهرة.
21. الجوهري، اسماعيل بن حماد. (1979). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور. ط1. بيروت: دار العلم للملايين.
22. الآجري. (1403ه). *الشريعة*. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط1. باكستان: نشر حديث أكاديمي.
23. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس. (1997). *تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين*. تحقيق: أسعد الطيب. ط1. الرياض: مكتبة نزار الباز.
24. ابن حبان. (1952). صحيح *ابن حبان*. تحقيق: أحمد شاكر. ط1. بيروت: دار المعارف.
25. حماد، نزيه. (1993). معجم *المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء*. ط1. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
26. أبو حيان، محمد بن يوسف. (1993). *تفسير البحر المحيط*. تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

27. الخطيب، طاهر. (1996). *المعجم المفصل في الإعراب*. مراجعة: إميل بديع يعقوب. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

28. الدرامي، عبد الله بن عبد الرحمن. (1407ه). *سنن الدارمي*. ط1. تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي. بيروت: دار الكتاب العربي.

29. الدردير، أحمد. (د.ت). *الشرح الكبير على مختصر خليل*، مطبوع بهامش حاشية الدسوقي. (د. ط). القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

30. الدسوقي، محمد عرفة. (د.ت). *حاشية الدسوقي على الشرح الكبير*. (د. ط). القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

31. الرازي، فخر الدين. (1981). *تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب*. ط1. بيروت: دار الفكر.

32. الرازي، محمد بن أبي بكر. (1986). *مختار الصحاح*. ط1. بيروت: مكتبة لبنان.

33. رضا، محمد رشيد. (1947). *تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار*. ط1. القاهرة: دار المنار.

34. الزبيدي، محمد مرتضى. (1994). *تاج العروس من جواهر القاموس*. ط1. بيروت: دار الفكر.

35. الزحيلي، وهبة. (1405ه). *الفقه الإسلامي وأدلته*. ط2. بيروت: دار الفكر.

36. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. (1998). *أساس البلاغة*. تحقيق: محمد عيون السود. ط1. بيروت: المكتبة العلمية.

37. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. (2009). *تفسير الكشاف*. اعتنى به: خليل شيحا. ط3. بيروت: دار المعرفة.

38. أبو زيد، بكر بن عبد الله. (1996). *فقه النوازل*. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

39. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (2000). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: سعد الصميل. ط1. الرياض: دار ابن الجوزي.

40. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. (د.ت). *تفسير أبو السعود، أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. ط1. بيروت: دار إحياء التراث.

41. سلوم ونور الدين، علي، حسن. (1990). *الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل*. ط1. بيروت: دار العلوم العربية.

42. السمين، أحمد بن يوسف الحلبي (1407ه) *عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ*، تحقيق محود الدغيم. ط1. تركيا: دار السيد للنشر.

43. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن (1409ه) *الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام*. تحقيق: طه عبد الرؤوف. ط1. بيروت، دار الفكر.

44. السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين. (2011). *تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور*. ط1. بيروت: دار الفكر.

45. الشربيني، محمد الخطيب. (1998). *مغني المحتاج لمعرفة ألفاظ المنهاج*. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

46. شناوة، سعاد (2006) المستوى الدلالي في الفنون البلاغية. *مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية*، العدد (3-4)، 105 – 116.

47. الصادق، الأمين. (1423ه). *الثبات على دين الله وأثره في حياة المسلم في ضوء الكتاب والسنة* (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

48. صالح، فاطمة. (2007). الالتزام الديني وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلبة كلية العلوم الإسلامية. *مجلة التربية والعلم*، *14* (4)، 329 – 359.

49. صليبا، جميل. (1982). *المعجم الفلسفي*. ط1. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

50. طارش، مجي. (2010). الوجوه الدلالية للألفاظ القرآنية، دراسة تأصيلية في غريب القرآن. *مجلة واسط للعلوم الإنسانية*، العدد (14)، 9-45.

51. الطبراني، سليمان بن أحمد. (1995). *المعجم الأوسط للطبراني*، تحقيق طارق بن عوض ومحسن الحسيني. (د. ط). الرياض: دار الحرمين.

52. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. (1994). مجمع *البيان في تفسير القرآن*. (د. ط). بيروت: دار الفكر.

53. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (2001). *تفسير الطبري أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن. ط1. القاهرة: دار هجر.
54. ابن عابدين، محمد أمين. (1386هـ). *رد المحتار على الدر المختار*. ط2. مكة المكرمة: المكتبة التجاري.
55. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير*. ط1. تونس: الدار التونسية.
56. عبد الحميد، محمد نبيل. (1995). قلق الموت وعلاقته بكل من دافعية الإنجاز والجنس ونوعية التعليم لدى عينة من طلبة الجامعة. *مجلة علم النفس القاهرة*، العدد (35)، 101- 138.
57. عبد الخالق، أحمد. (1987). *قلق الموت، سلسلة كتب عالم المعرفة*. (د. ط). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
58. عبد القادر، محمد أحمد. (1986). *عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي*. ط1. الإسكندرية: دار المعرفة.
59. عتيق، عبد العزيز. (1985). *علم البيان في البلاغة العربية*. ط1. بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر.
60. العسقلاني، ابن حجر. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. بيروت: دار المعرفة.
61. العسكري، أبو هلال. (1986). *كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر*. تحقيق: علي البجاوي. ط1. صيدا: المكتبة العصرية.
62. العسكري، أبو هلال. (2005). *الفروق اللغوي*. تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية.
63. عسلية وحمدونه، محمد، أسامة. (2015). الالتزام الديني وعلاقته بكل من قلق الموت وخبرة الأمل لدى طلبة كلية التربية بجامعة الأزهر بغزة، *مجلة درسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية*، العدد (3)، 731 – 750.
64. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. (2001). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
65. ابن عقيل، أبو الوفاء علي بن محمد. (1999). *الواضح في أصول الفقه*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.
66. ابن فارس، أبو الحسن أحمد. (1979). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام هارون. ط1. بيروت: دار الفكر.
67. الفتوحي، أبو البقاء. (1418هـ). *شرح الكوكب المنير*. تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد. ط2. بيروت: مكتبة العبيكان.
68. الفيروز آبادي، مجد الدين بن يعقوب. (1407هـ). *القاموس المحيط*. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة.
69. الفيومي، أحمد. (1990). *المصباح المنير*. ط1. بيروت: مكتبة لبنان.
70. الفيومي، أحمد بن محمد. (1987). *المصباح المنير في غريب شرح الكبير*. (د. ط). بيروت: مكتبة لبنان.
71. القرطبي، أبو الوليد محمد أحمد بن محمد. (1986). *بداية المجتهد ونهاية المقتصد*. ط8. بيروت: دار المعرفة.
72. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. (2006). *الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي و محمد رضوان عرقسوسي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.
73. القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري. (1415هـ). *التذكرة في أحوال الموتى والآخرة*. تحقيق: عصام الدين الصبابطي. ط1. مصر: دار الحديث.
74. القزويني، الخطيب. (2003). *الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع*. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
75. قلعجي وقنيبي، محمد رواس، حامد صادق. (1998). معجم لغة الفقهاء. ط1. بيروت: دار النفائس للطباعة.
76. القونوي، قاسم. (1406هـ). *أنيس الفقهاء*. تحقيق: أحمد الكبيسي. ط1. جدة: دار الوفاء.
77. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (1432هـ). *كتاب الروح*. تحقيق: محمد الإصلاحي. ط1. مكة: دار عالم الفوائد.
78. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (2003). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.
79. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (د.ت). *شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل*. تحقيق: الحساني حسن. (د. ط). القاهرة: دار التراث.
80. ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل. (1999). *تفسير ابن كثير*. تحقيق: سامي سلامة. ط2. الرياض: دار طيبة.

81. الكسائي، علاء الدين أبو بكر. (1986). *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.
82. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد. (د.ت). *سنن ابن ماجة*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. القاهرة: مطبعة دار الإحياء.
83. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. (د.ت). *النكت والعيون أو تفسير الماوردي*. راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية.
84. المازري، أبو عبد الله محمد. (1992). *المعلم بفوائد مسلم*. تحقيق: محمد الشاذلي. ط2. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
85. مرسي، كمال. (1981). علاقة سمة القلق في المراهقة والرشد بإدراك الخبرات المؤلمة في الطفولة. *مجلة كلية الآداب/ جامعة الرياض*، المجلد (8)، 329 – 351.
86. مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج. (2006). *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد الفاريابي. ط1. بيروت: دار طيبة.
87. ابن مفلح. (1401ه). *المطلع على أبواب المقنع*. (د. ط). بيروت: المكتب الإسلامي.
88. ابن الملقن، عمر. (1429ه). *التوضيح لشرح الجامع الصغير*. (د. ط). قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
89. المناوي، عبد الرؤوف. (1990). *التوقيف على مهمات التعريف*. تحقيق: عبد الحميد حمدان. ط1. بيروت: عالم الكتب.
90. المناوي، محمد. (2001). *فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير*. ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
91. المنذري، زكي الدين. (1412ه). *الترغيب والترهيب*. تحقيق: محمد السيد. (د. ط). القاهرة: دار الفجر للتراث .
92. ابن منظور، محمد بن مكرم. (1955). *لسان العرب*. (د. ط). بيروت: دار صادر.
93. موسى، رشاد. (1997). *سيكولوجية التدين*. مجلة التقويم والقياس النفسي والتربوي. *5*(9)، ص 440
94. النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف. (د.ت). *المجموع شرح المهذب*. تحقيق: محمد نجيب المطيعي. (د. ط). جدة: مكتبة الإرشاد.
95. الهاشمي، أحمد. (د.ت). جواهر *البلاغة في المعاني والبيان والبديع*. تحقيق: حسن حمد. ط1. بيروت: دار الجيل.
96. الهروي، عبد الله الأنصاري. (1988). منازل السائرين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
97. وهبة، مراد. (2007). *المعجم الفلسفي*. ط1. القاهرة: دار قباء الحديثة.